النهاية في الكناية

المعروف
بـ الكناية والتعريض

لأبي منصور إسماعيل الثعالبي

تحقيق فرج الحوار





دار المعارف للطباعة و النشر
سوسة - تونس

النهاية في الكناية

المعروف

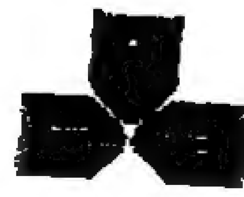
بـ الكناية والتعريض

النهاية في الكناية

المعروف بـ الكناية والتعريض

لأبي منصور إسماعيل الثعالبي

تحقيق فرج الحوار



دار المعارف للطباعة و النشر
سوسة - تونس

الرقم المسند من طرف الناشر 95/522
تدمك : ISBN 9973 _ 16 _ 243 _ 9

الكاتب والكتاب والمحقّق

هو أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي (350 هـ ـ 428 هـ)، لقّب بالثعالبي نسبة إلى حرفته الأولى، إذ كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب، فسُمّي بذلك (1) ـ وهناك من قال : كان أبوه يحترف تجارة جلود الثعالب فنسب إليها (2)

وهو أديب وشاعر ومؤلّف، صاحب التصانيف الأدبية السائرة في الدنيا. نبغ في تصنيف الكثير من الكتب، لم يتسنَّ إلى اليوم حصرها بدقة (3). منها 27 أثرا مطبوعًا، و32 أثرا مخطوطًا، و45 أثرًا مفقودا. من أشهر كتبه « يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر » في أربعة أجزاء وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها.

قال ابن بسّام صاحب الذخيرة : « كان في وقته راعي بليغات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رَأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم أقرانه، سار ذكره سير المثل » (4).

* * *

---

1) شذرات الذهب 3/246. والاعلام للزركلي 4/163.
2) مقدمة التوفيق للتلفيق، ص 16/ طبعة المجمع العلمي العراقي 1985.
3) نفس المصدر ص 27.
4) شذرات الذهب، 3/246.

احترف الثعالبي لفترة مهنة تأديب الصبيان، ثم تركها لما اتّصل بالملوك، وأعيان زمانه، فكتب وأهدى إليهم عددًا من مصنفاته، وكان كتاب « الكناية والتعريض » من نصيب أبي العبّاس مأمون بن مأمون حاكم خوارزم، وكان ذوّاقًا محبًا للأدب، فصنّف له الثعالبي عددًا من مؤلفاته زيادة على كتابنا هذا.

قال بروكلمان (5) « كتاب الكناية والتعريض » (6) كتاب في البلاغة، ويسمّى : « الكفاية في الكناية » (7) أو « النهاية في التعريض والكناية » (8) وأيّده الزركلي (9) فقال : « الكناية والتعريض » ويسمّى « النهاية في الكناية » (10).

أما صاحب كشف الظنون، فلم يذكر شيئا من هذه العناوين، وقال : « له كتاب بعنوان « نهاية الكفاية » (11).

والذي نستنتجه من هذا الخلط في العنوان، أنّ الكتاب واحد وليس كتابين كما ذهب إليه البعض (12)، ويبدو أن مسألة تحريف عناوين

---

5) تاريخ الأدب العربي ـ ج 5/ 189.

6) يوجد منه : نسخة في برلين رقم 7336، ونسخة بقينا 84 رقم 2. ونسخة ثالثة بالاسكوريال رقم 281.

7) نسخة باريس رقم 5934.

8) نسخة ليبزيغ رقم 863 ـ والاسكوريال رقم 28. ونسخة بالمتحف البريطاني رقم 1/1110 ونسخة كويريلس رقم 2/1197، وبايزيد رقم 2/3207، ودمادزاده رقم 1582. ونسخة راغب باشا رقم 1/1473، وعاشر أفندي 315/2، ومخطوطتين بالقاهرة:الأولى رقم 309/4، والثانية رقم 422/3.

9) الاعلام، 163/4، 164.

10) يوجد مخطوط بهذا العنوان في المكتبة الوطنية التونسية، بخط مشرقي عتيق، رقم 4670.

11) كشف الظنون، 625/5. حاجي خليفة.

12) مقدمة التوفيق للتلفيق ص 16.

الكتب وأحيانـا تغييرها أمر أصبح مألوفا من قِبَلِ النسّاخ، إذ كثيرا ما تتلف صفحات من المخطوط، فيجتهد الناسخ أو المؤرخ في إعطائه عنوانا من عنده، يتفق وموضوع الكتاب، ونجد مِثل هذا في أحد كتب الثعالبي نفســه، إذ له مخطوط بعنــوان « الأمثال » وفي نسخ أخرى نجده بعنوان « الفرائد والقلائد » (13) وهو كتاب واحد ولا فرق بين المخطوطين في المضمون.

وقد طبع الكتاب لأوّل مرّة في مكّة بعنوان : « النهاية في الكناية » سنة 1301 هـ (14). ثم طبـع في القاهرة سنة 1326، مع « المنتخب من كنايات الأدباء واستعارات البلغاء » للجرجاني (15)، وعن طبعة القاهرة، اعـادت عدّة دور نشر لبنـانية طبعـه بالأوفسـات، فكانت جميعها مليئة بالتحريف والأخطاء.

إذا كـــان الثعالبي غنيّا عن التعريف لجمهور المثقّفين، وما هذه الترجمة المختصرة، إلا إحدى ضروريات النشر والتأليف الحديث، فإنّي أرى من الضروري أن أشير، ولو في كلمة موجزة إلى المحقق الأستاذ فرج الحوار، الذي دفعه تواضعه إلى تحميلي مسؤولية كتابة كلمة لهذا الكتاب،الذي قال عنـه مؤرخـو الأدب : كتـاب خفيف في وزنـه، ثقيل في مادّته ». وإذا استطعت أن أُحَوْصل في فقرات قصيرة ما يعطي فكرة عن تاريخ الكتاب وكـاتبـه . . فإنـه من الـصعب جدا أن ننصف المحقق في أســطر قليلة . . والحقيقـة أن الكتابة عن فرج الحوار كان يجب أن تنال حظّها من المسـاحة التي تستوعب جميع مواهب هذا الشابّ الفذّ، الذي قال عنه

---

13) الزركلي، الأعلام 164/4.

14) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 189/5.

15) الاسم الأصـلي لكتـاب الجـرجاني، هو « كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ». (كشف الظنون)، لم يطبع منه إلا منتخبات مع كتاب الثعالبي كما سبق ذكره.

النقّاد منذ باكورة انتاجه الروائي : إنه أعاد إنارة مشعل أئمة البيان في الأدب العربي . . وهو الذي رغم تدريسه الأدب الفرنسي في الجامعة، فإنه يعود إلى بيته وينهل بنهم عجيب من التراث العربي.

ويكفي أن أقول إن تحقيقه لهذا الكتاب وهو تجربته الأولى في هذا المجال، الذي لا يقوم به إلا من تحلّى بصبر أيوب إلى جانب كثرة اطّلاعه، وإن المتمعّن في منهجية هذا العمل ووفرة فهارسه وتخاريجه، يدرك ان مثل هذا الانجاز ليس بالأمر الهينّ، وليس في متناول أي كان . . .

كان اللّه في عونه على الأعمال الأخرى التي بين يديه، ونحن واثقون بأنّها ستكون رصيدا قيّما في اثراء المكتبة العربيّة.

الناشـــر

حسن أحمد جغـام

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

عونك اللّهم على شكر نعمتك في مِلك كَملَك، وبحْر في قصر، وبدر في دَسْت (1)، وغيْث يصدر عن ليْث، وعالَم في ثوبِ عالِم، وسلطان بين حُسْن وإحْسان.

لولاَ عجائب صُنعِ اللّه ما نبَتتْ تلك الفضائلُ في لحمٍ ولا عصبِ

هذه صفة تُغْني عن التَّسمية، ولا تُحْوج إلى التّكنية، إذ هي مُختصّة بمولانا الأمير السيّد الملك المؤيَّد وليّ النّعم أبي العبّاس مأْمُون بن مأمون خوارزم شاه (2) مولى أمير المؤمنين (3) أدام اللّه سلطانه، وحرس عزّه ومكانه، وخالصة له دون الورى، وجامعة لديه محاسن الدّنيا، اللّهم فكما فضّلته على عبادك بالفضائل التّي لا تُحصى، والفواضل التّي لا تنسى، ففضِّله بطول العمر، ودَوام الملك، واتّصال الصُّنْعِ (4)، ورغد العيش، وسكون الجأش، وعلوّ اليد، وسعادة الجَدِّ (5)، وكفاية المهمّ، وإزالة المُلمّ، وانظر للمكارم والمعالي بالدّفاع عن مهجته، وحراسة دولته، وتثْبيت وطأته، برحمتك يا أرحم الرّاحمين وأكرم الاكرمين آمين، وصلواتك علىٰ النّبيّ محمّد وآله أجمعين.

---

(1) الدَّسْتُ. الدّيوان والرّياسة، وهو كناية عن الجلال والأبّهة. والدّست أيضا الصّحراء، وقد وردت في شعر الأعشى ميمون بهذا المعنى.

(2) أبو العبّاس خوارزم شاه: لم نقع له على ترجمة ضافية ذكر بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» أنّه توفّي سنة 408 هـ، وكان ظالّما غشوماً.

(3) أبو العبّاس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، القادر باللّه

(4) الصّنع. الرّزق. (5) الجدّ: الحظّ.

ثم إنّ هذا الكتاب خفيف الحجم، ثقيل الوزن، صغير الجمّ (6). كبير الغُنم، في الكنايات عمّا يُستهجن ذكره، ويُستقبح نشره، أو يُستحيا من تسميته، أو يُتَطيّر (7) منه، أو يُسترفع ويُصان عنه، بألفاظ مقبولة تؤدّي المعنى، وتُفصح عن المغزى، وتُحسّن القبيح، وتُلطّف الكثيف، وتكسوه المِعْرَضَ (8) الأنيق في مخاطبة الملوك، ومكاتبة المحتشمين، ومُذاكرة أهل الفضل، ومحاورة ذوي المروءة والظّرف، فيحصل المراد، ويلوح النّجاح مع العدول عمّا ينبو عنه السّمع، ولا يأنس به الطّبع إلى ما يقوم مقامه، وينوب منابه، من كلام تأْذن (9) له الأذن، ولا يحجبه القلب، وما ذلك إلاّ من البيان في النّفوس، وخصائص البلاغة، ونتائج البراعة، ولطائف الصّناعة.

وأراني لم أُسبق إلى تأليف مثله، وترصيف شبهه، وترصيع عقده، من كتاب اللّه وأخبار النبي ﴿ ﷺ ﴾ وكلام السّلف، ومن قلائد الشّعراء، ونصوص البلغاء، ومُلح الظّرفاء، في أنواع النّثر والنّظم، وفنون الجِدّ والهزل.

وقد كنت ألّفته بنيسابور في سنة أربعمائة، فلما جرى ذكره على اللسان العالي، أدام اللّه عُلاه، وخرج الأمر الممتثل، أدام لله رفعته، بانفاذ نسخة منه إلى الخزانة المعمورة أدام الله شرفها، أنشأته نشأة أخرى وسبكته ثانية بعد أولى ورددت في تبويبه وترتيبه وتأنقت في تهذيبه وتذهيبه وترْجَمْتُه (بكتاب

---

(6) الجَمّ : الغوغاء والسخّل، ومعناه هُنا قلّة الكلام وصغر الحجم.

(7) تطيّر : تشاءم، لأنّ الطّائر عند العرب هو الحظّ من الخير والشّر.

(8) المِعْرَضُ : الثوب تعرض فيه الجارية وتُجلّى، والألفاظ معاريض المعاني لأنّها تُجمّلُها.

(9) تأذنُ : تسمَعُ وتميلُ.

الكنـاية والتّعـريض) وشرّفتـه بالاسم العـالي،ثبّته الله ما دامت الأيام والليالي، وأخرجته في سبعة أبواب يشتمل كل باب منها على عدّة فصول مترجمة بمودوعاتها.

فالباب الأوّل، في الكناية عن النّساء والُحرم وما يجري معهنّ ويتّصل بذكْرهنّ من سائر شؤونهنّ وأحوالهنّ،وفصوله خمسة.

والباب الثّاني، في ذكر الغلمان ومن يقول بهم والكناية عن أوْصافهم وأحوالهم،وفصوله خمسة.

والباب الثّالث، في الكناية عن بعض فصول الطّعام وعن المكان المهيّأ له،وفصوله أربعة.

والباب الرّابع، في الكناية عن المقابح والعاهات،وفصوله اثنا عشر.

والبـاب الخـامس، في الكنـايات عن المرض والشّيْب والكِبَر والموت، وفصوله ثمانية.

والبـاب السّـادس، فيما يُوجبه الوقت والحال من الكناية عن الطّعام والشّراب وما يتّصل بها،في فصلين.

والباب السّابع، في فنون شتّى من الكناية والتّعريض مختلفة التّرتيب، وفصوله سبعة.

وها أنا أفتتح سياقها وأُوفيها حقوقها وشرائطها، بعون اللّه تعالى ودَولة مولانا الملك السّيّد وليّ النِّعم خوازرم شاه، ثبّتها اللّه وأدامها.

الباب الأوّل

في الكناية عن النّساء والُحرم وما يجري معهن ويتّصل بذكرهنّ من سائر شؤونهنّ وأحوالهنّ

فصل في الكناية عن المرأة

العـرب تُكنّي عن المرأة بالنّعجة، والشّاة، والقلوص (1)، والسّرحة (2)، والحـــرث، والفِراش، والعتبة، والقارورة (3) والقوصرة (4)، والنّعل، والغلّ، والقيد، والظُلّة (5)، والجارة، وبكلّها جاءت الأخبار ونطقت الأشعار.

فأمّـا الكنـاية بالنّعجـة فقـد أوضـح عنها القرآن في قصّة داود عليه السّلام : ﴿ إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجة ولي نعجةٌ واحدة ﴾ (6)، أي إمـــرأة.

---

(1) القَلُوص : الفتيّة من الابل بمنزلة الجارية الفتاة من النّساء.

(2) السَّرْحُ : واحدتها سرحةٌ، شجر كبار عظام طِوال لا يُرْعى وإنّما يُسْتظلّ فيه، لهُ ثمرٌ أصفر.

(3) القارورة . واحدة القوارير من الزّجاج، والعرب تُسمّي المرأة القارُورة وتُكْني عنها بها. والقارورة أيضا حدقة العين، على التّشبيه بالقارُورة من الزّجاج لصفائِها.

(4) القَوْصرةُ والقوصرَّةُ : وعاء من قصب يرفع فيه التّمر من البواري.

(5) الظُلَّةُ : أوّل سحابة تُظلُّ، الشّيء يُسْتَتَرُ به من الحرّ والبْردِ.

(6) سورة ص، الآية 33.

وأمّا الكناية بالشاة فكما قال عنترة العبْسيّ (7)

يا شاةُ ما قنصَ لمن حلّت له حُرِمت عليَّ وليْتها لم تحرمِ

فكنّى عن امرأة وقال : أيّ صيْد أنتِ لمن يحلّ له أن يصيدكِ ، فأمّا أنا فإن حرمة الجوار قد حرّمتكِ علي .

وأمّا الكناية بالقلوص فكما كتب رجل من مغزًى كان فيه إلى عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه يوصيه بنسائه :

ألا أبلغْ، أبا حفصٍ (8)، رسولا فدًى لك، من أخي ثِقةٍ، إزاري

قلائصنا، هداك اللّه، إنّا شُغلنا عَنْكُمْ زمنَ الحصارِ (9)

وأمّا الكناية بالسّرحة ، وهي شجرة ، فكما قال حُميد بن ثور (10) :

أبى اللّه الاّ أنّ سرحةَ مالكٍ على كلّ أفنان (11) العضاه تروقُ (12)

---

(7) عنترةُ العبْسيُّ : (توفّي نحو 22 ق هـ) أشهر فرسان العرب في الجاهليّة ، ومن شعراء الطبقة الأولى يوصف بالحلم على شدّة بطشه ، وفي شعره رقّة وعذوبة . وكان مغرمًا بابنة عمّه « عبلة » فقلّ أن تخلو له قصيدة من ذكرها . يُنْسب إليه ديوان شعر أكثر ما فيه موضوع و« قصّة عنترة » الخياليّة ، وهي التي يعدّها الافرنج من بدائع آداب العرب . (الاعلام 5/91) .

(8) أبو حفص . كنية عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه .

(9) الأبيات لِنُفَيْلة الأكبر الأشجعيّ ، وكنيته أبو المنهال ، وقصّتها كما وردت في اللّسان أنّ أبا المنهال « كتب إلى عمر بن الخطّاب أبياتا من الشّعر يُشير فيها إلى رجُل ، كان واليا على مدينتهم ، يُخرج الجواري إلى سلْعٍ عند خروج أزواجهنّ إلى الغزو ، فيعقلهنّ ويقول لا يمشي في العقال إلاّ الحصّان ، فربّما وقعت فتكشّفت . . . (وتمام الأبيات ستّة) فلمّا وقف عمر ، رضي الله عنه ، على الأبيات عزله وسأله عن ذلك الأمر فاعترف ، فجلده مائة معقولا وأطرده إلى الشّامَ .

(اللّسان 4/17/18) .

(10) حُمَيْد بن ثوْر : أحد المخضرمين من الشّعراء ، أدرك الجاهليّة والاسْلام وقيل إنّه رأى الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم . مات حُميد بن ثور في خلافة عثمان بن عفّان . (معجم الأدباء)

(11) أفنان ، مفرده فنن : الغصن المستقيم طولا وعرضًا .

(12) و جاء في « معجم الأدباء » أن « عمر بن الخطّاب تقدّم إلى الشّعراء ، الاّ يُشبّب أحد =

وإنّما كنّى عن امرأة مالك بسرحة مالك أحسن كناية وعبّر عن إتقانها في الحسن على سائر الغواني أحسن عبارة، وقد سلك طريقته في هذه الكناية من قال :

ومالِيَ من ذنب إليهمْ علمتُه سوى أنّني قد قلت يا سرحةُ اسْلَمي
نعم (13) فاسلمي ثمّ اسْلَمي ثم (14) اسْلمي ثلاثَ تحيّاتٍ . وإنْ لم تَكلّمِي (15)

وإنما تقع مثل هذه الكناية عمّن لا يجسرون على تسميتها أو يتذممون من التّصريح بها كما قال الشّاعر :

وإني لأَكْنِي عن قذورٍ (16) بغيرها وأعربُ أحيانًا بها فأصرحُ

وأمّا الحرث، فمنه قول الشّاعر وألْقاه على طريق الألغاز :

إذا أكل الجراد حروثَ قومٍ فحرثـي هُمّـه أكـلُ الجرادِ

يعني، بحرثه إمرأة. وفي القرآن : ﴿ نساؤكم حرثٌ لكُم ﴾ (17)

= بامرأة، فقال حُميد بن ثوْرٍ :

أبى اللّه إلاّ أن سرحة مالكٍ على كلّ أفنان العِضاةِ تروق
فقد ذهبت عرْضًا وما فوق طُولها من السّرح إلاّ عَشّة وسحوقُ
فلا الظلّ من برد الضّحى تستطيعه ولا الفيء من بعدِ العشيّ تذوق
فهل أنا إن علّلتُ نفسي بسرحةٍ من السّرح مَسدُود عليَّ طريق ؟ »

(معجم الأدباء 11/10).

(13) في « معجم الأدباء » بَلى

(14) في « معجم الأدباء » ثُمّتَ

(15) ورد البيتان في « معجم الأدباء » وهما لحُميد بن ثور، أيضا لّما حظَر عمر على الشّعراء ذكْر النِّساء »، وهي ثلاثة أبيات أوّلها :

تجرّم أهْلُوهَا لأنْ كنتُ مُشْعَرًا جُنونًا بها يا طولَ هذا التّجرُّمِ

والتجرّمُ اِدّعاء من غير جرْمٍ (معجم الأدباء 11/12/13).

(16) القَذورُ من النّساء : التي تتنزّه عن الأقذار والرِّيب.

(17) سورة البقرة، الآية 223 .

وأمّا الفِراش، فقد قال الله تعالى في وصف الجنّة : ﴿ وفُرُوشٌ مرفوعةٌ ﴾ يعني النّساء، ألا تراه يقول على أثرها : ﴿ إنّا أنشأناهنّ انشاء فجعلناهنّ أبكارًا ﴾ (18)

وروي عن بعضهم أنه قال لرجل أراد أن يتزوج : اسْتوثر فراشك أي تخيّر السّمينة من النّساء.

وأما العتَبةُ، ففي قصّة إبراهيم عليه السّلام أنّه زار ابنه اسماعيل عليه السّلام فوافق حضوره غيبته عن المنزل، فقدّمت عليه امرأته وأخبرته بحاله ولم تعرض عليه القِرى (19)، فقال لها : قولي لإبني إنّ أباك يقرأ عليك السّلام، ويأمرك أن تغيّر عتبتك. فلما رجع اسماعيل عليه السّلام وقصّت عليه المرأة القصّة وأدّت إليه الرّسالة طلّقها في السّاعة امتثالا لأمر أبيه، لأنّ قوله غيِّر عتبتك كناية عن طلاقها والاستبدال بها (20).

وأمّا الكناية بالقارورة فمن قول رسول الله ﴿ﷺ﴾ لسائق الابل التي عليها نساؤه : « رفْقا بالقوارير » (21).

---

(18) سورة الواقعة، الآية 36.

(19) القِرى : الضّيافة.

(20) وردت هذه القصّة في كتاب « قصص الأنبياء » للثّعلبي، وهذه خلاصتها . « قدم إبراهيم عليه السّلام مكّة [وَ] ذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته : « أين صاحبكِ ؟ » قالت : « ليس ههنا، ذهب يتصيّد » فقال لها : « هل عندك ضيافة ؟ هل عندك طعام أو شراب ؟ » قالت : « ليس عندي شيء ومَا عنْدي أحد » فقال لها : « إذا جاء زوجكِ فأقرئيه منّي السّلام وقولي له فلْيُغيِّر عتبة بيته » فلمّا عاد إسماعيل وأخبرته زوجته [بما حدث] طلّقها وتزوّج أخرى. ».

(21) جاء في اللّسان « أنّ الرّسول شبّه النّساء بالقوارير لضعف عزائمهنّ وقلّة دوامهنّ على العهد. (. . .) وكان أَنْجشَةُ يحدو بهنّ ركابهنّ ويرتجز بنسيب الشّعر والرّجز وراءهنّ، فلم يؤمن (الرسول) أن يصيبهنّ ما يسْمعن من رقيق الشّعر فيهنّ أو يقع في قلوبهنّ حِدَاؤه، فأمر

وأمّا الكناية بالقوصرة فمنها قول الرّاجز :

أفْلحَ مَن كانت له قوصرهْ يأكل منها كلّ يومٍ مـرّهْ

وأمّا النّعل، فمنها قول عمر رضي اللّه تعالى عنه : « المرأة نعل يلبسها الرّجل إذا شاء لا إذا شاءت هي ».

وأمّا الغُلّ، فمنه قول بعض الحكماء من العرب وهو يذكر النّساء : « ومنهن الودود والولود القعود، ومنهنّ غلّ يضعه اللّه في عنق من يشاء ويفكّه عمّن يشاء » (22).

وأمّا القيد، فمنه قول أبي الحسن الجوهريّ الجرجاني (23) من قصيدة في الصّاحب (24) يذكر استعداده للسّير إلى حضرته ويُكْنى عن طلاق امْرأته :

= أبحشة بالكفّ عن نشيده وحُدائه حذار صبوتهنّ إلى غير الجميل. » ويُشبه هذا ما حكي عن سليمان بن عبد الملك « أنّه دعا بوضوء، فجاءت به جارية. فبينًا هي تصبّ الماء على يده إذ استمدّها وأشار إليها مرّتين أو ثلاثا، فلم تصبّ عليه، فأنكر ذلك ورفع رأسه، فإذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها إلى صوت غناء. » فدعا سليمان بالمغنّي وأمر به فخُصِي وقال « هدر الفحل فضبعت النّاقة، ونبّ التّيس فشكرت الشّاة، وهدل الحمام فزافت الحمامة، وغنّى الرّجل فطربت المرأة. » (المحاسن والأضداد للجاحظ.).

(22) وجاء في « عيون الأخبار » لابن قتيبة أنّ الأصمعيّ قال : « أخبرنا شيخ من بني العنبر قال : كان يُقال : النّساء ثلاث : فهيّنة ليّنة عفيفة مُسلمة تُعين أهلها على العيش ولا تُعين العيش على أهْلهَا، وأخرى وعاء للولد، وأخرى « غُلّ قملٌ » يضعه اللّه في عنق من يشاء ويفكّه عمّن يشاء. » وأصل « الغلّ القمل » أنّ العرب إذا أسروا أسيرًا غلّوه بغلّ من قدّ وعليه شعر فربّما قمل في عُنقه فتجتمع عليه مُحتنان الغلّ والقُمّل.

(23) أبو الحسن علي بن أحمد الجوهريّ : قال عنه الثّعالبي في « اليتيمة » : نجم جرجان، وهو من صنائع الصّاحب وندمائه وشعرائه. كان الصّاحب يصرفه في الأعمال والسّفارات، توفّي في جرجان (يتيمة الدّهر، 4/29، 32).

(24) الصّاحب بن عبّاد (327 ـ 385 هـ) وزير وشاعر وأديب. من مؤلّفاته : « المحيط في اللّغة » و « الكشف عن مساوئ المتنبّي » وله ديوان شعر.

جوادي قدامي وذيلي مشمّرُ   وقلبي مع شوق يجيء ويذهبُ
وقد كنت معقولاً بأهلي مقيّدًا   وها أنا من ذاكَ العقالِ مسيبُ

وعلى ذكر الطلاق فإني أسْتحسن وأستظرف جدًّا ما كتبه ابن العميد في الكناية عن حَلْف بعض الملوك بالطّلاق، وهو قوله في فصْل من كِتاب حلف يمينًا سمّى فيها حرائره. (25)

وأمّا الظلّة، فهي عند بعض الكوفيين أصْليّة وعند بعضهم مُكْنيَّة وكذلك الحليلة ويُنْشدُ :

وإنّي لمحتاجٌ إلى موت ظلّتي   ولكن متاع السّوْء باقٍ مُعمّرِ

وأما الجارة، ففيها يقول الأعشى (26) :

أجارتُنا بيني فإنّك طالق (27)

ومن إحسان المتنبّي (28) المشهور قوله لسيف الدّولة (29) وقد أوقع ببني كلاب وسبى نساءهم ثمّ ردّهنّ عليهم :

---

(25) ابن العميد (337 ـ 366 هـ) : وزير ركن الدّولة والد عضد الدّولة الدّيلميّ، وكان متوسّعا في علم الفلسفة والنّجوم. وأمّا الأدب والترسّل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه، وكان يُسمّى الجاحظ الثّاني. ولّما تمكّن من الدّولة خافه مؤيّد الدّولة خليفة ركن الدولة وقبض عليه وقتله (الاعلام 143/5 والكُنى والألقاب 366/1).

(26) الأعشى : ميمون، أحد فحول الشّعراء الجاهليين. وكان يسمّى صنّاجة العرب إذ كان يُغنّى بشعره لرقّته وعذوبته. أدرك الاسلام ولم يُسلم. توفّي في 7 هـ.

(27) وفي الدّيوان :

« يا جارتي بيني، فإنّك طالِقه   كذاك أمورُ النّاس غادٍ وطارقهْ

(28) المتنبّي (303 ـ 354) : أعظم شعراء العربيّة اشتهر بالمديح وشعر الحكمة وعرف عنه تعصّبه للعروبة. مات مقتولاً.

(29) سيف الدّولة الحمدانيّ : صاحب حلب وممدوح المتنبّي. وكان جوادًا كريما شجاعا، وأخباره مشهورة في ذلك. ولد سنة 303 هـ. وتوفّي بحلب سنة 356 هـ.

ولو غيرُ الأميرَ سبى كلابًا   ثنّاه عن شُمُوسهِم الضبابُ (30)

وإنّما كنّى عن النّساء بالشّموس، وعن المحاماة دونهن بالضباب، والعرب قد تُكْنِي أيضًا عن النّساء بالجآذر (31) والظّباء والمهَا والبقرِ.

وأتى النعمان بن المنذر (32) بهذه الكناية، وكان فيها دمه، وذلك أنه كان وتر زيد بن عديّ إذ قتل أباه عديّ بن زيد (33)، وزيد ترجمان الملك أبْرَويز، وكان يتربّص بالنّعمان الدّوائر ويبغي له الغوائل. ولّما علم ميل الملك إلى النّساء وصف له بنات النّعمان وأشار عليه بخطبتهنّ، وهو يعرف امْتناعه من تزويج العجم لما في نفسه من النّخوة، فأرسل إليه رسولاً في الخطبة، فقال النّعمان: أما للملك غنْيةٌ ببقر العِراق عن هؤلاء الاعْرابيّات السّود؟ وترْجم زيدٌ هذه اللّفظة بالفارسيّة وقبّح المعْنى وأسَاء المحْضَر، وقال إنه يُعيِّر الملك بنيْكِ البقَر، فأمرَ أبرويز بإشخاص النّعمان وإلْقائه إلى الفِيَلة حتّى خبطته بأرْجلها وأتت على بقيّته (34).

---

(30) في الدّيوان بشرح البرقوقيّ. «كنّى بالشّموس عن النّساء وبالضّباب عن المحاماة دونهم: لأنّ الضّباب يستر الشّمس ويحول دون النّظر إليها.» 212/1

(31) الجآذر: البقر الوحشيّ.

(32) النّعمان بن المنذر: آخر ملوك اللّخميين في الحيرة، وهو صاحب يومي البؤس والنّعيم. توفّي سنة 602 م.

(33) عديّ بن زيد العباديّ: من شعراء الجاهلية، ومن أهل الحيرة. كان يُحسن العربيّة والفارسيّة والرّمي بالنّشاب. وهو أوّل من كتب بالعربيّة في ديوان كسروى. تزوّج هندا بنت النّعمان بن المنذر، ولكنّ النّعمان سجنه ثم قتله سنة 587 م.

(34) أتت على بقيّته: قتلته. وقصّة النّعمان مع عديّ بن زيد، نقلا عن كتاب «أيّام العرب في الجاهلية»، وذلك أنّ النّعمان قتل والده عديًا بن زيد، فظلّ عديّ يتحيّن الفرصة للأخذ بثأر أبيه. «وكانت للملوك الأعاجم صفة من النّساء مكتوبة عندهم، وكانو يبعثون في طلب من يكون على هذه الصّفة من النّساء، فإذا وجدت حُملت إلى الملكِ، غير أنّهم لم يكونوا يطلبونها في أرض =

=العرب، ولا يظنُّونها عندهم، ثمّ إنّه بدا للملك في طلب تلك الصّفة، وأمر فكتب بها إلى النّواحي، ودخل إليه زيد بن عديّ، وهو في ذلك القول، فخاطبه في ما دخل إليه فيه، ثمّ قال : إنّي رأيت الملك قد كتب في نسوة يطلب لهُ، وقرأت الصّفة، وقد كنتُ بآل المنذر عارفًا، وعند عبدك النّعمان من بناته وأخواته وبنات عمّه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصّفة

قال . فاكتب فيهنّ. قال : أيّها الملك، إنّ شرّ شيء في العرب وفي النّعمان خاصّة أنّهم يتكرّمون ـ زعموا في أنفسهم ـ عن العجم، فأنا أكره أن يُغيّبهنّ عمّن تبعث إليه، أو يعرض عليه غيرهنّ، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك، فابعثني وابعث معي رجلا من ثقاتك يفهم العربيّة، حتّى أبْلُغ مَا تُحبّه. فبعث معه رجلا جلدًا فهمًا، وخرج به زيدٌ، وجعل يكرم الرّجل ويُلطفُه حتّى بلغ الحيرة، ودخلا على النّعمان، فأعظمه زيد وقال له . إنّ كسرى احتاج إلى نساءٍ لنفسه وولده وأهل بيته، وأراد كرامتك بصهره، فبعث إليك، فقال . مَا هؤلاء النّسوة ؟

فقال . هذه صفتهنّ قد جئنا بها. وكانت الصفة أنّ المنذر الأكبر أهدى إلى أنو شِرْوان جارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر الغسّاني، فكتب إلى أنو شِرْوان بصفتها، وقال : إنّي قد وجّهت إلى الملك جارية مُعتدلةَ الخلق، نقيّة اللّون والثّغر، بيضاء قمْراء وطفاء كحلاء دعْجاء حوْراء عيْناء قنْواء شمّاء برْجاء زجّاء أسيلة الخدّ، شهيّة المُقبّل، جثلة الشّعر، عظيمة الهامة، بعيدةَ مهوى القرْطِ، عيْطاء، عريضة الصّدرِ، كاعبَ الثّدْي، ضخمة مُشاش المنْكب والعضدِ، حسنةَ المعصَمِ ، لطيفة الكفّ، سبْطة البنانِ، ضامرة البّطن، خميصة الخصْرِ، غرْثى الوشاح، ردَاحَ الأقْبال، رابية الكفلِ ، لفّاءَ الفخذين، ريًّا الرّوادفِ، ضخمة المأْكمتيْن، مفعمة السّاق، مُشبعة الخلْخالِ ، لطيفة الكعْب والقدمِ ، قَطُوفَ المشْي، مكْسَال الضُّحى، بضّة المُتجَرَّدِ ، سموعًا للسيّد، ليست بخنساء ولا سفعاء، رقيقة الأنف، عزيزة النّفس، لم تُغذَ في بؤسٍ ، حييّة رزينة، حليمة ركينة، كريمة الخالِ ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشّرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صَنَاعَ الكفّين، قطيعة اللّسان، رَهوة الصّوتِ ساكِنَه، تزينُ الوليّ وتشين العدوّ، إن أردْتها اشتهتْ، وإن تركتها انْتهت، تحملق عيناهَا، وتحمّر وجنتاهَا، وتذبذب شفتاهَا، وتُبادرك الوثْبةَ، إذا قُمتَ، وَلا تجْلس إلاّ بأمرك إذا جلسْتَ.

ولّما قرأ زيد هذه الصّفة على النّعمان شقّ عليه، وقال لزيد، وَالرّسول يسمع . أمَا في مَها السّواد وعين فَارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرّسول لزيد بالفارسيّة . رمَا المها=

السّوء : « إياكم وَخضراء الدّمن » (35).

= والعين ؟ فقال له بالفارسيّة . « كاوان » أي البقر » وكان في هذه الكناية هلاك النّعمان، على ما ذكره الجرجانيّ.

(35) ورد الحديث في « المستطرف » للإبشيهي متبوعًا ببيتين من الشّعر :

« إذا تزوّجت فكن حاذقًا واسْأل عن الغصن ومنبته »

« وأوّل خبث الماء خبث ترابه وأوّل خبث القوم خبث المناكح »

فصل
في الكِنَايات عن الُحرم

لما نقل أبو الجيْش خُمارَوَيْه بن طولُون (1) والي مصر ابْنته المسمّاة قطْر النّدى (2) إلى المعتضِد(3)، كتب إليه يُذَكّره حرْمة سلفها بسلفه، ويصف ما يردُ عليها من أبّهة الخلافة وروْعة السّلطان ووحْشة الغربة، ويسأله إيناسها وبسْطَها وتقريبَها، فأراد الوزير عبيد اللّه بن سليمان (4) أن يجيب عن الكتاب بخطّه، فسَأله جعفر بن محمّد بن ثوابة (5) أن يعتمد عليه في الجواب، ففعل، فكتب جعفر بن محمّد كتابًا قال في فصل منه :

« وأمّا الوديعة - أعزك اللّه فَهي بمنزلة ما انْتقل من شِمالك إلى يمينك، [عناية بها، وحياطة لَها، ورعاية لِمُوَالاتِك فيها] : (6)

---

(1) أبو الجيش خُمارويه بن طولون : خلف أباه في حكم مصر والشامّ.تزوّج المعتضد ابنته قطر النّدى على مهر مقداره ألف ألف درهم. وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل. قتل خمارويه سنة 282 هبدمشق.

(2) قطر النّدى : من ربّات الحسن والجمال والعقل، خطبها المعتضد وجهزها أبوها بجهاز عظيم فقيل . إنه كان في جهازها عشرون صينيّة ذهب في عشرة منها مشامّ صندل وزنها أربعة وثمانون رطْلا وعشرون صينيّة فضّة في عشرة منها مشامّ صندل زنتها نيّف وثلاثون رطْلا وخمس خلع قيمتها خمسة آلاف دينار، وفيه أيضا ألف هاون ذهبا . . توفّيت سنة 287 هـ.(أعلام النّساء. 4/213 وما بعْدَها)

(3) المعتضد باللّه (242 ـ 289 هـ) خليفة عبّاسيّ، وُلد ومات ببغداد، قضى فترة خلافته بمحارب الزّنج ، وكان عارفًا بالأدب موصوفا بالحلم، إلاّ في مواضع الشدّة.

(4) عُبيد اللّه بن سليمان : وزير المعتمد والمعتضد، كان من كبار الوزراء ومشايخ الكتّاب، توفّي سنة 288 هـ.

(5) جعفر بن ثوابة : أشهر كتّاب الدّواوين في العصر العبّاسي.

(6) في الأصل المطبوع : « صنّا منها بها وحيطة لها ورعاية لمودّتك فيها » وما أثبتناه من « يتيمة الدّهر » 1/315.

فلمّا عرضه على الوزير عبيد اللّه ارْتضاه جدًا [واستحسنَه]، وقال له :[تسْميتُكَ إيّاهَا] (7) بالوديعة نصف البلاغة. ووقّع له بالزّيادة في [إقطاعِه ومُشَاهَرته](8) .

ولّما كانت أيّام عزّ الدولة [بخْتيار] (9) بن معزّ الدّولة (10) ونقل ابنته إلى عمدة الدّولة أبي ثعلب الحمدانيّ(11)، كتب عنه أبو إسحاق الصّابي (12) إلى أبي ثعلب كتابا اسْتحسنه أهل الصّناعة وتحفّظوا منه هذا الفصل، لاشْتماله على عدّة كنايات لطيفة ونُسْخته :

« قد توجّه أبو النّجم بدْر الحرميّ(13)، وهو الأمين على ما يلْحظه،

---

(7) في الأصل المطبوع : « كنايتك عنها »، وَمَا أثبتناه من اليتيمة 1 /315

(8) في الأصل المطبوع : « جِرَاياته وإقطاعاتِهِ »، ومَا أثبتناه من اليتيمة 1 /315

(9) مزّ الدّولة بختيار بن معز الدّوله : ولي الملك بعد موت أبيه، وكان جميل الصّورة، قويّ المدن، إلاّ انّه ضعيف الرّأي حاربه ابن عمّه عضد الدّولة وانتصر عليه فقتله في السنة 367 هـ وهـو ابن 36 سنة، وطالت إمارته 11 سنة وشهورًا. (نشوار المحاضرة للتنوخي 1 /24).

(10) معزّ الدّولة : ملك العرّاق وورد إليه سنة 334 وَلقي المستكفي فمنحه وأخويه (عماد الدّولة وركن الدّولة) ألقابهم. ثمّ عزل المستكفي ونصب المطيع للّه خليفة بدله، ومرض معزّ الدّولة ببغداد وتوفّي وعمره 53 سنة، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة واحد عشر شهرًا (نشوار المحاضرة 1 /138).

(11) عمدة الدّولة أبي ثعلب الحمدانيّ : أحد أمراء « بني حمدان »، ملوك الموصل والجزيرة وحلب، في العصر العبّاسيّ، منهم سيف الدّولة صاحب حلب وأكثر الشّامّ وديار بكر، وأبو فراس الشّاعر، وآخرون. وكان عمدة الدّولة الحمدانيّ أمير الموْصل. (يتيمة الدّهر 1 /314).

(12) أبو إسحاق الصّابي (313 ـ 384) نابغة كتاب جيله. كان أسلافه يُعْرفون بصناعة الطبّ، ومال هو إلى الأدب، فتقلّد دواوين الرّسائل والمظالم في أيّام المطيع العبّاسيّ. وكان صلبا في دين الصّابئة، ولكنّه كان يحفظ القرآن ويشارك المسلمين في صوم رمضان من مصنّفاته : كتاب « التّاجي » وديوان شعر و « الهفوات النّادرة » (الأعلام 1 /78)

(13) بدر الحرميّ (توفّي سنة 310 هـ) أبو النّجم : قائد تركيّ الأصل من أمراء الجيش العبّاسيّ. كان من غلمان الطّولونيّين وخدم الخلفاء العبّاسيّين توفّي وهو عامل على شيراز. (الأعلام 2 /45)

الوفيّ بما يحفظه، نحوك يا سيّدي ومولاي أدام اللّه عزّك إ ـ بالوديعة، وإنّما نُقلتْ من وطنٍ إلى سكنٍ، ومن مَغْرس إلى مَغْرس، ومن مأوى [برّ(14)] وانْعطاف، إلى مثْوى كرامةٍ وإلْطاف [ومن منبتٍ درّت لها نعماؤه، إلى منشإٍ تجود عليها سماؤه](15)، وهي بضعة منّي انْفصلت إليك وثمرة من جَنى قلبي حصُلَت لديْك(16). وما بان عنّي من وصلتُ حبلَهُ بحبلِك، وتخيّرتُ له بارع فضْلك وبوّأته المنزل الرّحب من جميل خلائقك، وأسكنته الكَنفَ الفسيح من كرم (17) شيَمك وطرائقك، ولا ضياع على ما تضمّه أمانتك ويشتمل عليه حفظك ورعايتك(18). »

قال مؤلّف الكتاب : وكثيرًا ما يُكَنّي ابنُ العَميد (19) والصّاحب (20) والصّابي (21) وعبدِ العزيز بن يوسف (22) وهم بلغاء العصر وأفراد الدّهر

---

(14) في اليتيمة « بَرٍّ » بدل « مَرِيّ »

(15) الزّيادة التّي بين حاصرتين من اليتيمة.

(16) في الأصل المطبوع : « وهي بضعة منّي حصلت لديْك، وثمره من جنى قلبي انفصلت إليك » وما أثبتناه من اليتيمة.

(17) في الأصل المطبوع : « كريم »، ومَا أثبتناه من اليتيمة.

(18) في الأصل المطبوع : « تشتمل عليه صيانتك » وَما أثبتناه من اليتيمة. وفيها تتمّة لهذه الرّسالة نوردها فيما يلي : « وأرجو أن يقرن اللّه موردها بالطّائر السّعيد، والأمر الرّشيد، والعزّ الزّائد، والمجد الصّاعد، والنّماء في الائتلاف، والعصمة من الفرقة بالخلاف؛ حتّى تكون عوائد البركة بأحوالها منوطة، وعن عوادي الأيّام وغيرها محوطة. » (يتيمة الدهر 1/314).

(19) سبقت ترجمته.

(20) سبقت ترجمته.

(21) سبقت ترجمته.

(22) عبد العزيز بن يوسف (توفّي سنة 388 هـ)، الشّيرازيّ الجكّار : وزير، من الكتّاب الشّعراء. تقلّد ديوان الرّسائل لعضد الدّولة البويهيّ طول أيّامه، وعدّ من وزرائه وخواصّ نعمائه. أورد الثّعالبي طائفة من نثره وشعره في « يتيمة الدّهر ». (الأعلام 4/29)

عن البنت بالكريمة وعن الصّغيرة بالريْحانة، وعن الأمّ بالحرّة والبِرّة، وعن الأخت بالشّقيقة، وعن الـزّوجة بكبيرة البيت، وعن الحُرُم بمن وراء السّتر، وعن الزّفاف بتأليف الشّمل واتّصال الحبل. ولو كتبت الفُصول المتضمّنة لهذه الكنايات لامْتدّ نفسُ الباب،وفيما أوْردته من هذه النّكت كفاية.

وحدّثني أبو النّصر محمّد بن عبد الجبّار العُتْبيّ(23)، قال : لما تُوفّيت والدة الأمير الرّضى أبي القاسم نوح بن منصور (24) احْتاج خالي أبو النّصر العتبيّ إلى مكاتبة الحضرة في التّعزية عنها، فلم يرتض لفظة الأمّ والوالدة في ذكرها، فكتب كتابا قال في فصل منه : «وقد قَرع الأسْماعَ نفوذ قضاء اللّه فيمن كان البيتُ المعمـور ببقائها مصعدُ الدّعواتِ المقبولة، ومهبط البركات المأْمُولة، فارْتضاه كتّاب الحضْرة وتحفّظوه.

(23)محمّد بن عبد الجبّار العُتْبيّ (توفّي سنة 427 هـ) . مؤرّخ من الكتاب الشّعراء. أصله من الريّ ونشأ في خراسان. من تصانيفه : « لطائف الكُتّاب » وَ« اليميني ».

(24) المنصـور السّـامانّي (353 ـ 387 هـ) : أمير ما وراء النّهر. مولده ووفاتـه في بُخارى (عاصمة إمارته) لم تسكن الفتن مدّة ولايته إلاّ قليلا، وكان موفّقا في قمعها، عزيز الجانب، مطاعًا.

فصل
في الكناية عن عورة المرأة

أنشدني أبو القاسم الرّسوريّ (1) لبعض العرب :

وإذا الكريمُ أضاعَ مطلبَ أنْفه   أوْ عرسه لِكَريهةٍ لـم يغْضبِ

والعربُ تقول : إنّ الجنين إذا تّمت أيّامه في الرّحم وأراد الخروجَ منه طلب بأنْفه الموضِع الذّي يخرُج منه، فقال لي الأستاذ أبو بكر الطّبري (2) : انْظر كيف لطّف هذا الشّاعر بحذقه للْكناية عن فرج الأمّ بقوله مطلب أنْفه.

ومعنى البيت أنّ الرّجل متى لم يْحم ِ فرَج أمّه أو امْرأته لم يغْضب من شيء يؤتى إليه بعد ذلك.

وقال الصّاحب (3) في رسالته المْوسُومة « بالتنبيه على مساوئ شعر المتنبّي » : قد كانت الشّعراء تصف المآزر وتُكَنّي بها عمّا وراءها تنزيها لألفاظها عمّا يُسْتبشع ذكره حتّى تخطّى هذا الشاعر المطبوع إلى التّصريح الذّي لم يهتدِ إليه غيره، فقال :

إنّي على شغفي بما في خُمْرها   لأعفّ عمّا في سراويلاتها (4)

---

(1) أبو القاسم الرّسوريّ : لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادِرَ.

(2) الأستاذ أبو بكر الطّبري : لم نقع له على ترجمة في ما بين أيديا مس مصادر.

(3) سبقت ترجمته.

(4) هكذا أُثبت البيت في الدّيوان بشرح البرقوقي، وفي طبعة « دار صادر » اسْتبدلت « سراويلاتها » ب « سَرَابيلاتها » - « وَالخمر جمع خمار. وهو ما تغطّي به المرأة رأسها والسّراويلات جمع سراويل : فارس معرّب وهو اللباس الذّي يستر النصف الأسفل من=

وكثير من العهر أحسنُ من هذه العفاف(5).

وممّا يستحسن للحجّاج (6) قوله لأمّ عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث (7): « عمـــدتِ إلى مال اللّه فوضعته تحت ذيلك »، لأنّه كره أن يقول تحت أسْتُك كما تقوله العامّة، خوفا من أن يكون قد جازف، كما عيب به عبد اللّه بن الزبير (8) لما قال لامرأة عبد اللّه بن حازمٍ : أخرجي المالَ الذّي تحت أسْتكِ، فقالت : ما ظننت أحدًا يلي شيئا من أمور المسلمين فيتكلّم بهذا، فقال بعضُ الحاضرين : أما ترون إلى الخَلْع الخفيّ الذي أشارت إليه ؟

وقال أبو منصور الأزهريّ (9) في نهي النبيّ ﴿ﷺ﴾ عن إتْيان النّساء في

=الجسم. » وأضاف البرقوقي، بعد أن ذكر ما عابَ به الصّاحب هذا البيت، « وإنّما قال المتنبّي عمّا في سرابيلاتها : جمع سربال، ووهو القيمص، وكذا رواه الخوارزميّ. » شرح ديوان المتنبّي لعبد الرّحمن البرقوقي 1/349).

(5) في الأصل المطبوع « العفافة » وما أثبتناه من شرح البرقوقي

(6) الحجّاج بن يوسف الثقفي (40 ـ 95 هـ) يضرب بظلمه وعسفه وجوره المثل، حاصر مكّة سنة 73 هـ ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل عبد اللّه بن الزبير ومنع النّاس من الصّلاة عليه عند دفنه وختم أيدى جماعة من الصّحابة بالرّصاص. قتل صبرًا ـ سوى من قتل في حربه ـ مائة وعشرين ألفا ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف إمرأة، وكان يحبس الرّجال وَالنّساء في موضع واحدٍ. (نشوار المحاصرة 1/136).

(7) عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث (توفّي سنة 85 هـ) أمير، من القادة الشّجعان الدّهاة، وهو صاحب الوقائع مع الحجّاج الثّقفي. مات مقْتولا.

(8) عبد اللّه بن الزّبير : كان من المبغضين لبني هاشم. رُوي أنّه بقي أربعين يومًا لا يُصلّي على النبيّ في خطبته حتّى الْتاث عليه النّاس فقال:إن له صلّى اللّه عليه وآله أهل بيت سوءٍ إذا ذكرته إشرأبّت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك، فلا أحبّ أن أقرّ أعينهم بذلك. قتله الحجّاج بمكّة سنة 73 هـ وصلبه. (الكنى والألقاب 1/294)

(9) أبو منصور الأزهريّ (282 ـ 370 هـ) : أحد الأئمّة في اللّغة والأدب. مولده ووفاته بهراة=

محاشّهن أنّها كناية عن أدْبارهنّ وأصْلها من الحشّ(10).

وقـال الجاحظ (11) في قول اللّه عزّ اسْمُه : ﴿ والّذينَ هُم لفروجهم حافظون ﴾ (12). وقوله : ﴿ ومريم ابنة عمران الّتي أحصنت فرجها ﴾ (13) إنّهـــا كناية عن العوْرة، ولما كثّر في الكلام قال بعض المفسّرين : إنّه يحتاج إلى كنـاية، فقـال في قولـه تعالى : ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينـا ﴾ (14). إنّها كنـاية عن الفروج كأنّه لم يعْلم أنّ كلام الجلد من أعْجب العجَب، ولـو كان كذلـك لقـال عنـد ذكر الفُروج والذّين هم لجلودهم حافظون، ولقال : ومريم ابنة عمران التّي أحصنت جِلْدها.

وروى الفقهاء أنّ رِفَاعة طلّق امْرأته فتزوّجت برجلٍ يقال له عبد الرّحمن بن الـزَّبير، بفتح الزّاي وجرّ الباء، ثمّ شكته إلى النّبيّ ﴿ﷺ﴾ وقالت له : إنّ الـذّي معـه كهـدبة (15) الثّوب، فقال ﴿ﷺ﴾ : أتريدين أن تراجعي رفاعة. لا، حتّى تذوقي عُسيْلته ويذوق عُسيْلتك ». فانظر إلى لطافة هذا الكلام وكثْرة روْنقه وحسْن كنايته عن العوْرة والنّكاح بالعُسيْلة التّي هي تصغير العسل وهو يُذكّرُ ويُؤنّث.

= بخراسان وقع في إسار القرامطة فكان مع فريق من هوازن « يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحنٌ » من مصنّفاته . « تهذيب اللّغة » و« تفسير القرآن » (الأعلام 311/5).

(10) المحشّة : الدّبُرُ

(11) الجاحظ (159 ـ 254 ه) أديب ومفكّر ومتكلّم بصريّ المولد والنشأة، غرير التّأليف تُنسب إليه فرقة الجاحظية وهي إحدى فرق المعتزلة.

(12) سورة المؤمنون، الآية 5.

(13) سورة التّحريم، الآية 12

(14) سورة فصلت، الآية 21.

(15) الهُدْبة كناية عن الذّكر، أي أنّه رِخوٌ مثل طرف الثّوب

وذهب من أنكر تأنيثه إلى أنّه تصغير عسَلة يقال عسلة وعَسَل كما يقال تمرة وتمر.

ومن نادر الكنـاية وجيِّدهـا قول أبي حكيمـة (16) راشـد بن اسْحاق الكاتب (17) في فنّه الذّي شُهِرَ به من قصيدة :

نم فما عندك خيْر يرتجى أيّها الأيرُ القليـلِ المنفعهْ
طالما جدّلتَ فرسان الوغى وافتتحـتَ القلعـة الممتنعهْ
وتقحّمت مطاميرَ الهـوَى فعرفتُ الضيّقَ مِنْها والسّعهْ (18)

---

(16) في « معجم الأدباء » لياقوت الحموي . أبو حكيمة 122/11

(17) أبو حكيمة راشد بن إسحاق . كان أديبا كاتبا شاعرًا، ذكره ابن المرزبان في طبقات الشّعراء وقال . كان أكثر شعره في رثاء متاعه. اتّصل راشد بالوزير محمّد بن عبد اللّه الزيّات، وله معه أخبار. (معجم الأدباء 122/11).

(18) ذكر ابن المعتزّ في « طبقات الشعراء » أنّ كنية راشد بن إسحاق هي « أبو حليمة »، وأضاف أنّ أبا حكيمة « هو الذّي رثى متاعه ـ أي أيْرَهُ ـ بما لم يجئ أحد بمثله » فقال من قصيدة .

أيّهـا الأيـر تنبّـــه خلـع الخشـــف إزارهْ
مـا اعتـذاري عنـده فيـــ ـك وقـد صـرت شعـارهْ
يا ثقيـل الـرأس يُغفـــي طـول ليـــل ونهـارهْ
جاعـلا جلـــدة خصْيـيـــ ـه من القـــرّ دثـــاره
ليس ينحـــاش بخيـــــر لمديـــــر إن أرادَهْ
إنّ نـــوم الأيـــر ذلّ فاحـــذر الـذلّ وعـــاره
قلّما تهـــــوى الغوانـــي حلم أير ووقــــاره
إنّما يزهـــدن فيــــه حيـن يعرفـــن إنكســاره
ويواطئـــن عليـــــه حيـن يحمـــدن إختبـاره
أين مـا كنت عليــــه مـن نشـــاط وحــــراره
فلعهـدي بـــك دهـــرًا قائمـــا مثـل المنـــاره
ما يـــراك النّـــاس إلاّ من حديـــد أو حجـــاره

وعهدي بالأستاذ الطّبري ينشد هذه الأبيات ويعْجب من جوْدتها في معناها، ويقول إنّ من يُكَنّي عن الأحْراح (19) والفِقاح (20) بمطامير الهوَى لمن شياطين الانْس الذّين سُخّر لهم الكلام حتى قادوه بألْين زمام.

وممّا يليق بهذا الفصل قول البُحْتري (21) في رجل تزوّج قينة :

تزوّجتهَا بعــــد إحراقها قلوبُ النّدامـــــى، وإقْلاَقها
وكيف (22) انبسطت، ولم تنقبض، لإجْلاسها مـــــع عشّاقها
إذا كنت تُمكّن من حبِّها فإنّك تُمكّن منْ ساقها (23)

---

(19) الأحْراج : واحده حِرْج ويُخَفّف على حِرٌ : وهو سوءة المرأة.
(20) الفِقَاح : واحدتها الفَقْحة : حلقة الدّبرُ وقيل الدّبر الواسع وقيل الدّبر بحمعها.
(21) البُحْتريّ (206 ـ 284) شاعر كبير، يُقال عن شعره « سلاسل الذّهب »، وهو أحد الثّلاثة الذّين كانوا أشعر أبناء عصرهم : المتنبّي وأبو تمّام والبُحْتري. اتّصل بجماعة من خلفاء بني العبّاس أوّلهم المتوكّل وتوفّي بمنبج. له ديوان مطبوع. ومن تصانيفه : كتاب « الحماسة » على مثال حماسة أبي تمّام (الأعلام 121/8)
(22) في الأصل المطبوع « فكيف » وَمَا أثبتناه من الدّيوان.
(23) لا وُجود لهذا البيت في الدّيوان. وهذه الأبيات من قصيدة، من خمس أبيات، بعنوان « تزوّجتها »، نوردها في ما يلي : (الدّيوان، دار صادر. 178/2)

تزوّجْتَها، بعد إحراقهَا قُلُوبَ النّدامَى، وَإقْلاقهـــا
وقد أعْطتِ القومَ من عهْدهَا رضاهُمْ، ومن عهـد ميثاقِهَا
فكيف أمنتَ خياناتِهَـــا، وأنت عليمٌ بأخلاقِهـــــا
وَكيف انْبسطتَ، ولم تنقبضْ، لإجْلاسها مع عشّاقِهـــــا
تحدّثهم بمعانـــي الغِنـــاء، عـــن بثّ نفْسٍ، وَأشواقِهَا

فصل
يتّصل به في الكناية عنْ عورة الرّجل

قال النّبيّ ﴿ﷺ﴾ : « من تعزّى بعزاء الجاهِليّة فأعضّوه (1) بهَن أبيه ولا تَكنّوا ». وقال عليه الصّلاة والسّلام : « مَن وقّاه اللّه شرّ ما بينَ فكّيْه ورجْليه دخل الجنّة ».

وقال الشّاعر في مثل هاتين الكنايتين :

وعضويْن للانسانِ لا عظمَ فيهما هما سببا إصْلاحه وفساده
إذا صُلَحا كانَ الصّلاح لديهما وإن فسدا لم يحظَ يومَ مَعاده

وقد كنّى عنها عبد العزيز بن محمّد السّوسي (2) بالبلبلة، فقال من قصيدة :

وحين قامت عليّ بلبلتي، ولم أجدْ حيلةً، تبلبلتُ

يُكَنّي عن جلْدِ عميرة، وعميرة كناية. وكذلك القضيب والطّومار، قال أبو نُعامة (3) :

زرت أُخاكم يا بني صالحٍ فلم يـزلْ ينشر طومار
حتّى إذا اخْشوشن في كفّهِ أدْخله مصْيَدة الفار

---

(1) ورد هذا الحديث في اللّسان، وشرحه : « أي قولوا لهُ أعضض بأير أبيك ولا تكنّوا عن الأيْر بالهن تنكيلا وتأديبا لمن دعَا دعوى الجاهليّة. ومنه الحديث أيضا : من اتّصل فأعضّوه، أي من انتسب نسبةَ الجاهليّة وقال يا لفلان »

(2) عبد العزيز بن محمّد السّوسيّ : قال عنه الثّعالبي في اليتيمة : « أحد شياطين الانس. » . (426/3)

(3) أبو نُعامة : هي كنية قطري بن الفجاءة، وليس المقصود هُو.

وقال دِعْبلٌ (4) :

يا مَنْ يُقَلِّبُ طومارًا وينشرهُ ماذا بقَلْبك من حبِّ الطّوامير؟
فيه مشابه من شيء كلفتُ به طولاً بطولٍ وتدْويرًا بتدْويرِ

ومن كنايات ابن الرّوميّ (5) في هذا الباب قوله يهجو شخصًا :

ما مرّ من يومٍ وليلة إلاّ وبعض غُلامِه في بعْضِه

وأنشدني أبو الفتح البُسْتّي (6) لنفسه :

وذَاتِ دلّ إذا لاحظت صُورتها رجعت عنها بقلب جدّ مفتونِ
تزْوّر عنّي بنون الصّدغِ حين رأت إمامَ لهوي يقرأ سورة النونِ

ولقـد مَلح في الجمـع بين النّونين وطرّف في الكناية عن متاعه بإمام اللّهو، وعن اعْوجاجه وقلّة انْتصابه بقراءة سُورة النّون، وإنّما شبّهه بسورة النّون المعروفة.

(4) دِعْبل الخراعيّ (148 ـ 246 هـ) شاعر مفلق مطبوع، أصله من الكوفة وأكثر مقامه ببغداد، ودحل دمشق ومصْر. وكان هجّاءً، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا الوزراء ولا أولادهم وكان من مشاهير الشّيعة، وقصيدته التّائيّة في أهل البيت من أحسن الشّعر وأسمى المدائح قصد بها الإمام علي بن موسى الرّضا فأعطاه عشر آلاف درهم وخلع عليه بردة من ثيابه

(5) ابن الرّومي (221 ـ 283 هـ) شاعر كبير من طبقة بشّار والمتنبّي، وهو روميّ الأصل، وجدّه من موالي بني العبّاس ولد ونشأ في بغداد، ومات فيها مسمومًا له ديوان شعر كبير. (الأعلام 4/297)

(6) أبـو الفتـح البُسْتيّ . شاعـر وكاتب وأديب معروف بجودة الشّعر، صاحب حكم ومواعظ توفّي ببخارى في حدود سنة 400 هـ (الكُنى والألقاب 2/82)

وكانت جِنَان المدنيّة (7) تُكنِّي عن متاع الرّجل بمفتاح اللّذة، وفي كتاب « ملح النّوادر » أنّ رجلاً راود امْرأة عذراء عن عذرتها، فقالت : هذه خَتْم اللّه، فقال وأشار إلى متاعه : وهذا مِفْتاح اللّه.

ومن الكنايات الجيّدة في هذا الباب : فلان عفيف الازار وفلان طاهر الذّيل إذا كان عفيف الفرج.

وقلت في كتاب « المبهج »: من عفّ إزاره خفّت أوْزاره، وإنّما يُكَنِّى بالازار عمّا وراءه، كما قالت امْرأة من العرب :

النّازلين بكـــلّ معتركٍ والطيّبين معاقـــد الأُزُر

وما أحسن كنايات زيادَة بن زيْد (8) عن عفّة الفرج وشرف المنكح بقوله :

فلمّا بلغنا الأمّهات وجدتم بني عمّكم كانوا كرام المضاجِع

(7) جنان المدنيّة : لم نقع لها على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

(8) زيادة بن زيد : لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

فصل

في الكناية عمّا يجري بين الرّجال والنّساء من اتّباع الشّهوة والْتماس اللّذة، وطلب النّسل

لا أحسن ولا أجْمل ولا ألطف من كناية اللّه تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ وقد أفضى بعضكم إلى بعض ﴾ (1)، وقوله عز ذكره : ﴿ فلمّا تغشّاها ﴾ (2)، وقوله : ﴿ هُنّ لِباسٌ لَكُم وأنتم لِباسٌ لهنّ ﴾ (3). وقوله : ﴿ فالآن باشروهنّ وابتغوا ما كتبَ اللّه لكم ﴾ (4). وقوله : ﴿ فأتوا حرثكم أنّى شئتم ﴾ (5). وقوله : ﴿ فما استمتعتم به منهنّ ﴾ (6). وقوله في الكناية عنْ طلب ذلك حكايةً عن يوسف عليه السّلام : ﴿ هيَ راودتني عن نفسي ﴾ (7). فسبحان اللّه ما أجمع كلامه للمحاسن واللّطائف وما أظْهر أثر الإعجاز على إيجازه وبسْطه في معناه ولفْظِه.

---

(1) سورة النّساء، الآية 21.

(2) سورة الأعراف، الآية 189.

(3) سورة البقرة، الآية 187.

(4) سورة البقرة، الآية 187.

(5) سورة البقرة، الآية 223.

(6) سورة النّساء، الآية 24.

(7) سورة يوسف، الآية 26.

وممّا جاء في حسْن الكناية عن النّكاح في شعر الجاهليّة قول الأعشى(8) :

وفي كلّ عامٍ (9) أنتَ جَاشمُ غزوة تشدّ لأقصاها عزيم عزائِكا
مُورّثةٍ مالاً، وفي الحمْدِ (10) رفعةً، لِما ضاع فيها من قُرُوءِ نسائِكَا (11)

القُروء، هُنا الاطهار لأنّ الممدوح لما كان كثير الغزْو لم يغشَ النّساء للغيْبة عنهنّ في مغازية أضاع أطْهارهنّ.

وقد زعم نُقّاد الشّعر أن هذه الكناية لطيفة دالّة على حذق الشّاعر بصنعته.

وعندي أنّ ضياع أطهار نساء الملوك ليس ممّا يخاطبون به وكذلك قول الأخطل (12) في بني مروان :

قومٌ إذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون النّساء ولو باتت بأطهارِ

فإنّه على حسنه من فضول القوْل الذّي لوْ رُزق فضل السّكوت عنها لحاز الفضيلة وما للشّاعر وذكر حُرُم الملوك فضْلا عمّا يجري لهم معهنّ

---

(8) الأعشى ميمون بن قيس : أحد فحول الشّعراء الجاهليين. وكان يُسمّى صنّاجة العرب إذ كان يغنّي بشعره لرقّته وعذوبته. أدرك الاسلام ولم يُسْلمْ. توفّي في 7 هـ.

(9) في الأصل المطبوع « يوم» وما أثبتناه من الدّيوان.

(10) في الأصل المطبوع « الحيّ » وما أثبتناه من الدّيوان.

(11) هذان البيتان من قصيدة يمدح فيها الأعشى هوذة بن على الحنفي. (الدّيوان 130).

(12) الأخطل (19 ـ 92 هـ) أحد أبرز شعراء العصر الأمويّ. لُقّب بالأخطل لطول لسانه. وكان نصرانيًا. وهو شاعر الأمويّين بدون منازع. وقد اشتهر بنقائضه الهجائيّة مع جرير. وله ديوان مطبوع.

وأمّا قول الرّبيع بن زيَادٍ(13) :

أفبعدُ مقتلِ مالكٍ بن زهيرٍ ترجو النّساء عواقبَ الأطْهارِ

فهو أيضا كناية عن النّكاح بعد الطّهر يقول : أيرجون أن يحملن مثله في شرفه وكرمه ؟

والعـرب تزعم أنّ أكثر ما تكون المرأة اشْتِمالاً على الحبل بعد مواقعة الرّجل إيّاها بعيد طُهْرها من حيضها فيكون الحمْل عاقبةَ الطّهر.

ويُرْوى أنّ عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه سمع ذات ليْلةٍ وهو يطوف إمرأة تغنّي بهذين :

تطاولَ هذا اللّيلُ وازْورّ جانبه وأرقّني أن لا خليلَ أُلَاعبُه
فَوا اللّه لوْلا اللّه لا شيْء غيره لزُعْزِعَ من هذا السّرير جوَانبُه

فسأل عنها، فقيل هي مغيّبة وزوجها فلان خارج في بعض البُعوث ، فأمر بردّهِ إليها. وزعزعة السّرير كناية عن الزجّ (14) العنيف(15) .

(13) الـرّبيع بن زياد (توفّي نحـو 30 ق. هـ) أحـد دهاة العرب وشجعانهم ورُؤسائهم في الجاهليّة. اتّصل بالنّعمان بن المنذر ونادمه، ثمّ أفسد لبيد الشّاعر ما بينهما، حضر حرب داحس وغبراء مع قومه من بني عبس، وَله أخبار كثيرة.

(14) الزجّ : الدّفع والادخال وَالايلاج.

(15) جاءت هذه القصّة في « المحاسن والأضداد » للجاحظ وَ« ذمّ الهوى » لابن الجوزي بإسْناد انتهى به إلى السّائب بن جبير، مولى ابن عبّاس، وَ« تاريخ الخلفاء » للسّيوطي. وفي الرّوايات الثّلاث إختلاف بيّن. ونحن نوردها هُنا موفّقين بين المصادر الثّلاثة : يُروى أنّ عمر بن الخطّاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة. وَكان يفعل ذلك كثيرًا ـ إذ مرّ بامرأة من نساء العرب

وممّا يقاربها قول أبي عثمان الخالديّ [في رسالة] (١٦) من نتفها. « وإذا اللّيل كفّ كلّ رقيب وعاذِل صرّت الفُرش تحت قوم صرير المحَامِل ».

ومن الكنايات عن النّكاح الخلجُ (١٧)، وقد اسْتعمله أبُو نوّاس (١٨) في قوله :

= مغلقا عليها بابها، وَهي تقول :

تطاول هذا اللّيل تسْري كواكبه وأرقّني أن لا ضجيع أُلاعبُهْ
ألاعبُه طورًا وطورًا كأنّما بدا قمـرًا في ظلمـةِ اللّيـل حاجبُهْ
يُسَرُّ به من كان يلهُو بقُرْبه لطيـفُ الحـشا لا تحتويـه أقاربُـهْ
فو اللّه لولا اللّه لا شيْء غيره لزُعزعَ مـن هـذا السّريـر جوانبُـهْ
وَلكنّني أخشى رَقيبًا موكّلا بأنفسنا لا يفتُر الدّهر كاتبُهْ.

ثـــم تنفّست الصّعداء، وقالت : لهان على عمر بن الخطّاب وحشتي وغيبة زوجي عنّي! وعمر واقف يستمع قولها. فقال لها : يرحمك اللّه، يرحمك اللّه. ثمّ رجع عمر إلى منزله، فسأل عن المرأة فإذا زوجها غائب. فسأل ابنته حفصة : كم تصبر المرأة عن الرّجُل ؟ فسكتت واستحْيَتْ وأطرقت. فقال : أربعة أشهر ؟ خمسة أشهر ؟ ستّة أشهر ؟ فرفعت [حفصة] طرفها. فعلم أنّها لا تصبر أكثر من ستّة أشهر. فكتب إلى صاحب الغزو أن يُقفل الرّجال إلى أهاليهم إذا أتت ستّة أشهر. »

(16) في الأصل المطبوع نقص واضحٌ فأضفنا العبارة التّي بين حاصرتين ليستقيم المعنى.

والخالديـان : أبو عثمان سعيد المتوفّي سنة 350 ه، وأبو بكر محمّد المتوفّي سنة 380 ه. أوطنا بحلب فكانا في حاشية سيف الدّولة وبطانته. وكانا شاعرين أديبين واشتركا في التّصنيف فصنّفا زيادة على كتاب « تاريخ الموصل » رسالتين في أبي تمّام وابن الرّومي وجمعا اختيارات من أشعار المحدثين تُسمّى « حماسة الخالديّيْن ».

(17) خَلجَ القطن : ندفه، والخلجُ هو الحركة والاضْطرابُ.

(18) أبو نوّاس، الحسن بن هانئ (146 ـ 198 هـ) : شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد فاتّصل فيها بالخلفاء من بني العبّاس ومدح بعضهم. وهو أوّل من نهج للشّعر طريقته الحضريّة وأخرجه من اللّهجة البدويّة. وقد نظم في جميع أغراض الشّعر، وأجود شعره خمرياته. وله ديوان شعر مطبوع، وديوان آخر سُمّي « الفكاهة والائتناس في مجون أبي نوّاس » وله أخبار جمعها كلّ من ابن منظور وابن هفّان. (الأعلام 2/225).

ثمّ توركتُ (19) على متنه كأنّني طيْر على برجِ
وكـان منّا عبثٌ ساعـةٍ وانْدفعَ الحلاّج في الحلجِ

وللقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجُرْجاني (20) من قصيدة هزل ومداعبة :

تبيتُ تُحلجُ طولَ الليل منكمشًا وباختيارِ ينادي أدْركوا الفرقا
وقـــام عمرو فأمّته أكُفّ يدٍ لما انْثنى أو تحسّى منهم المرقا
إذا هـــو منْه مثل الرّمحِ واتّسعتْ كالتّرس وافقَ شنٌ عندها طبقا

ومن مُلحِ البحْتري (21) في هذه الكناية قوله :

لم تُخط (22) بابَ الدّهليز مُنْصرفاً، إلاّ وخَلْخالُها مع الشُّنُفِ (23)

وهو مسْرُوق من قول غيْره :

ترفّقْ قليلاً قد أوْجعْتني وألصقتَ قرْطي بخَلْخاليَا

(19) تورّك : جلس مُعْتمدا على وركيه.

(20) أبو الحسن الجرجانيّ (توفّي سنة 392 هـ) قاض من العلماء بالأدب، كثير الرّحلات، وله شعر حسن. وُلد بجرجان وولي قضاءهَا، ثمّ قضاء الريّ، فقضاء القضاة، وتوفّي بنيسابور. من تصانيفه : «الوساطة بين المتنبّي وخصومه» و«تفسير القرآن» و«ديوان شعر» و«رسائل» (الأعلام 300/4).

(21) البُحْتريّ : (206 ـ284 هـ) شاعر كبير، يُقال عن شعره «سلاسل الذّهب»، وهو أحد الثّلاثة الذّين كانوا أشعر أبناء عصرهم : المتنبّي وأبو تمّام والبُحتري. اتّصل بجماعة من خلفاء بني العبّاس أوّلهم المتوكّل وتوفّي بمنبج. له ديوان مطبوع. ومن تصانيفه : كتاب «الحماسة» على مثال حماسة أبي تمّام. (الأعلام 121/8).

(22) في الأصل المطبوع «يخط» وَما أثبتناه من الدّيوان.

(23) الشُّنُفِ : الذّي يُلبس في أعلى الأذن، والجمع أشْناف وشُنُوف.

وقد أخذ الأستاذ أبو بكر الطّبري هذه الكناية وزاد فيها حيْث قال :

والشّأن في ظنّك الظّنّ الجميل بها وطالِ ما أوجعتْ كتفي رجْلاها
وانظرْ إلى كعْبها تُبصرْ به ندبًا من طُول ما خَدّش الكعبين قُرطاهَا

وقال أيضا :

كمسْترقِ اللّحاظ إلى عروسٍ وعند سِواه تضطربُ الحُجُولُ(24)

وحكى الصّولي (25) عن المكتفي (26) في حديث له قال : سهرتُ البارحة فذكرتُ بعْض أدْوية السّهر، فأنسْت فنمْت، قال : فقلنا له : واللّه ما سمعنا بأحْسن من هذه الكناية قطّ، فقال : واللّه ما سمعتها قبلَ وقتي هذا وإنّما ساقها اللّفظ. ودواء السّهر كناية عن النّكاح وعن السّكْر.

وبلغني عن ابنِ عُمر القاضي أنه كان لا يجلس للخُصوم حتّى ينال من الطّعام والشّراب، ويُلمّ بأهله احْتياطا على دينه وتعفّفا بالحلال عمّا عساه تتوق نفسه إليه من الحرام إذا بدرت منه لحظة لمن عساها تتحاكم إليه من النّساء الحِسان.

فقرأت لأبي اسْحاق الصّابي (27) فصلا في هذا المعنى بعينه من كتاب

(24) الحُجُول : واحده الحِجْل والحَجْل : الخلْخالُ

(25) الصُّولي (توفّي سنة 335 هـ) : أديب وشاعر عبّاسيّ، نادم جملة من خلفاء بني العبّاس. أهمّ تصانيفه : « الأوراق » و« أخبار أبي تمّام » و« أخبار البُحتريّ ».

(26) المكتفي (263 ـ 295 هـ) : من خلفاء الدّولة العباسيّة في العراق. قام بشؤون الدّولة قيامًا حسنا وحارب القرامطة فأبادهم وَاستأصلَهُم.

(27) أبو إسحاق الصّابي (313 ـ 384) نابغة كتاب جيله. كان أسلافه يُعْرفون بصناعة الطبّ، ومال هو إلى الأدب، فتقلّد دواوين الرّسائل والمظالم في أيّام المطيع العبّاسيّ. وكان صلبا في دين الصّائبة، ولكنّه كان يحفظ القرآن ويشارك المسلمين في صوم رمضان. من مصنفاته : كتاب « التّاجي » ديوان شعر و« الهفوات النّادرة » (الأعلام 1/78).

عهْـد سلطانيّ لبعض القُضـاة تعجّبت من حسن عبـارته ولطف كنايته وهو : « أَمَرَهُ أن يْجلس للخُصوم، وقد نال من المطعم والمشرب طرفا يقف به عند أوّل الكِفاية، ولا يبلُغ به إلى آخر النّهاية، وأن يَعْرِض نفسه على أسْبابِ الحاجة كلّها، وعوارض البشريّة بأسْرها، لئلاّ يُلمّ به [من ذلك] (28) مُلِـمّ أو (29) يُطيف به طائف، فيحيلانه عن رشده، ويحولان بينه وبين سدَدِه. » (30)

وهذه نسخة رقعة للصّاحب (31) في المدّاعبة تشتمل على كنايات حَسنةٍ من الباب « : خبر سيّدي أدام اللّه عزّه وان كتمه عنّي واسْتأثر به دوني مصـون عنـدي، وقـد عرفت خبره البارحة في شربه وأُنْسِهِ (32)، وغناء الضيف الـطّارق وعرسه، وكان ما كان مما لست أذكره (33)، وجرى ما جرى ممّا لستُ أنْشُره. وأقول : إنّ موْلاي (34) امتطى الأشهب فكيف وجد ظهره ؟ وركب الطيّار فكيف شاهد جرْيهُ ؟ وهل سَلم على حزونة الطّريق ؟ وكيف تصرّف أفي سَعة أمْ ضيق ؟ وهل أفرد بالحجّ، [أم تمتّع بالعمرة ؟] (35) وقال في الحَمْلة بالكرة (36). ليتفضّل بتعريفي الخبر، فما ينفعه الانكار، ولا يُغْني عنه إلاّ الاقرار، وأرْجو أن يساعدنا الشيخ أبو مُرّة (37)

---

(28) مَا بين الحاصرتين زيادة من يتيمه الدّهر للثّعالبي.

(29) في اليتيمة « وَ » بدَل « أوْ ».

(30) ورد هذا الفصل في اليتيمة 2/296.

(31) تقدّمت ترجمته.

(32) في الأصل المطبوع : « وقد عرفت ذلك في شربه وأنْسه »، ومَا أثبتناه من اليتيمة.

(33) هذا صدر بيت وعجزه « فظنّ خيْرًا ولا تسأل عن الخبر »، وَهو لابن المعتزّ.

(34) في الأصل المطبوع « سيّدي »، ومَا أثبتناه من اليتيمة.

(35) مَا بين الحاصرتين زيادة من « يتيمة الدّهر » للثّعالبي.

(36) في الأصل المطبوع « وقال في الجملة بالكره »، وَمَا أثبتناه من اليتيمة.

(37) أبو مُرّة : من كنى إبليس.

كمــا ساعده مرة، فنصلّي للقبلة التّي صلّى [إليْهَا] (38)، ونتمكّن من الدّرجة التّي خطب عليها، هذا وله فضل السّبق إلى ذلك الميدان، الكثير الفُرْسان. » (39)

وممّا يليق بهذا الفصل فصل ذكره الأزْهري (40) في كتاب « تهذيب اللغة »، فقال: إذا أتى الرّجل المرأة في غير مأتاها قِيل حمّض تحميضا [أي] (41) تحوّل من مكان إلى مكان. والخُلّة (42) ما كان حلوا، والحمض فاكهتها. يقال: أحْمض القوم إحماضا إذا أفاضوا فيها يؤنسهم من الحديث والفكاهة.

ويُرْوى عن سعيد بن سيار (43) أنّه قال لابْن عُمر (44) : ما تقول في

(38) ما بين الحاصرتين زيادة من اليتيمة.

(39) ورد هذا الفصل في اليتيمة 291/3.

(40) أبو منصور الأزهريّ (282 ـ 370 هـ) : أحد الأئمّة في اللّغة والأدب. مولده ووفاته بهراة بخراسان. وقع في إسار القرامطة فكان مع فريق من هوازن « يتكلّمون بطباعهم البدويّة ولا يكاد يوجد في منطقهم لحنٌ ». من مصنّفاته : « تهذيب اللّغة » و« تفسير القرآن » (الأعلام 311/5).

(41) مَا بين الحاصرتين أضفناه ليستقيم التّركيب.

(42) الخُلّة : كلّ نبت حلو. فالحمض مَا كانت ملوحة، وَالخُلّةُ مَا سوَى ذلك.

(43) ابن سيّار (توفّي سنة 368 هـ) : كاتب من أهل البصرة. من تصانيفه « النّوادر » و« الغارات ». وَكان يقول بالتّناسخ.

(44) ابن عمر (10ق. هـ ـ 73 هـ) : عبد اللّه، صحابيّ من أعزّ بيوتات قريش في الجاهليّة. كان جريئًا جهيرًا. هاجر مع أبيه (عمر بن الخطّاب) وشهد فتح مكّة. ولّما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى، واعتزل الفتنة بين عليّ وَمعاوية. له في كتب الحديث 2630 حديثا. (الأعلام 108/4).

التّحميض (45) ؟ قال : وما التّحميض ؟ قال : أن يأتي الرّجل المرأة في دُبُرها، قال : أوَ يفْعل ذلك مُسْلم ؟

وقال غير الأزْهريّ في الكناية عن الجارية المشتهية لذلك قولهم : هي مالكيّة (46) لِما رُوي عن مالك بن أنس (47) من إباحة ذلك.

---

(45) التّحميض في اللّسان « قال بعض النّاس . إذا أتى الرّجل المرأة في غير مأتاها الّذي يكون موضع الولد فقد حَمّض تحميضًا، كأنّه تحوّل من خير المكانين إلى شرّهما، شهوة معكوسة كقومِ لوط. ويُقال للتّفخيذ في الجماع تحميض ويُقال أحمضت الرّجل عن الأمر، أي حوّلتهُ عنه . »

(46) ذكر الرّاغب الاصبهانيّ في « محاضرات الأدباء » إنّ مالك بن أنس « إستدلّ في ذلك (إتيان المرأة في دُبُرها) بقوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنّى شئتم. » وقالت عائشة رضي اللّه عنها : « إذا حاضت المرأة حُرّم الجُحران » فدلّ [ذلك] على أنّهما كانا حلالا قبل الحيض. وقال بعض أهل اللّغة الجُحْران بالضمّ الفرجُ » 3/267. ومن النّوادر في هذا الصّدد مَا ذكره الرّاغب من أنّ « مزيد قال لامرأته : دعيني آتيك في أسْتِك. فقالت . لا أجعل أستي ضَرّة لِحِرّي مع قرب مَا بينهما. وسُئل أبو حفص عن إتيان المرأة في دُبرها فقال إنّ اللّه يقول نساؤكم حرث لكم، والأسْتُ لها مزرعة، ومن حلّت له القرية، حلّت له المزرعَةُ

وقال هُمام القاضِي :

ومذعورة جاءت على غيرِ موعدٍ تقنّصتُها والنّجم قد كاد يطلعُ
فقلت لها لمّا إستمرّ حديثُها ونفسي إلى أشياء منها تطلّع
أبيني لنا هل تؤمنين بمالكٍ فإنّي بحبّ المالكيّة مُولَعُ ؟
فقالت : نعم، إنّي أُدين بدينِهِ وَمذهبه عَدْلٌ لديَّ ومقْنع
فبتنا إلى الإصباح ندعو لمالكٍ ونُؤثر فُتياه إحْتسَابًا ونتّبعُ

(47) مالك بن أنس (93 ـ 179 هـ) . إمام وفقيه ومحدّث وهو مؤسّس المذهب المالكي . ولد وتوفّي بالمدينة . وله « المُوَطّأ » . وكان في أوّل أمره حاذقا بالغناء، إلاّ أنّه عزف عنه إلى الفقه لدمامة منظره.

ومّما يُستظرف لأبي اسْحاق الصّابي (48) قوله :

باتَتْ وكلّ مصونٍ لي من حِماها مباحُ
في ليلةٍ لم يَعِبْها واللّهِ إلاَّ الصّباحُ

(48) تقدمت ترجمته.

فصل
في افْتضاض العُذْرة

من طريف الكناية عن أخذ العذرة ما قرأته في أخْبار بشّار بن برْد (1) حين قال [لَهُ] (2) يزيد بن منصور (3) في دَار المهْدي (4) : يا شيخ ما صِناعتُك ؟ قال : ثُقْب اللّؤلُؤ. وأرى الصّاحب (5) أخذ منه قوله لأبي العلاء الأسَديّ (6)، وَقد دخل بأهْله، من أبيات :

وقد مضى يومان من شهرنا فقلْ لنا هلْ ثُقِبَ الدرُّ؟

(1) بشّار بن برد : (95 ـ 197 هـ) : أشعر المولّدين على الاطلاق. وكان ضريرا. نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدّولتين الأموية والعبّاسيّة. وشعره كثير متفرّق من الطّبقة الأولى، جُمع بعضه في ديوان. اتّهم بشّار بالزّندقة فقتله المهديّ ضربا بالسّياط، ودفن بالبصرة. (الأعلام 52/2).

(2) ما بين الحاصرتين أضفناه ليستقيم التّركيب.

(3) يزيد بن منصور (توفّي سنة 165 هـ) خال المهديّ. كان من سادة الدّولة العباسيّة، وَكانت به غفلة. هجاهُ بشّار.

(4) المهديّ (127 ـ 169 هـ) من خلفاء العبّاسيين في العراق. كان محمود العهد والسّيرة، محبّبًا إلى الرّعيّة، حسن الخَلْق وَ الخُلُق.

(5) تقدمت ترجمته.

(6) أبو العلا الأسَدي : قال عنه الثّعالبي في اليتيمة : « قديم الصّحبة، شديد الاختصاص به، من شعرائه وصنائعه. وكان الصّاحب يحبّه ويأنس إليه وَيكاتبه نثرا ونظما. » 394/3. وَتمام أبيات الصّاحب كما في اليتيمة (206/3).

إنّك إن قلت نعم صادقا أبعث نثارا يملأ المنزلا
وإن تُجبني من حياء بلا أبعث إليك القُطن وَالمغزلاَ

وله يقول أيضا :

قلبي على الجمرة ياأبا العلا فهلْ فتحتَ الموضِع المقفـلا ؟
وهل فككتَ الكيس عن ختمـه ؟ وهلْ كحّلْتَ الناظرَ الأحْـولا ؟

ولابْن العميد (7) في هذا المعنى إلى أبي الحسن بن هندو (8) :

أنعِمْ أبـــا حســـنْ صباحًا وازْدَدْ بزوجتـــك ارْتياحـــا
قد رُضت (9) طرفكَ خاليًا فهلْ اسْتلنتْ له جماحًا ؟ (10)
وطرقـــتَ منغلقًـــا فهـل سنّى الاله له انْفتاحا ؟ (11)

وأنشدني أبو الفضل الميكالي (12) لنفسه في مداعبة كانت له بين أهله :

---

(7) ابن العميد : (337 ـ 366 هـ) : وزير ركن الدّولة والد عضد الدّولة الدّيلميّ ، وكان متوسّعا في علم الفلسفة والنّجوم . وأمّا الأدب والترسّل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه . وكان يُسمّى الجاحظ الثّاني . ولّما تمكن من الدّولة خافه مؤيّد الدّولة خليفة ركن الدّولة وقبض عليه وقتله (الأعلام 143/15 وَالكنى والألقاب 366/1) .

(8) أبو الحسن بن هندو : (توفّي سنة 420 هـ) : من المتميّزين في علوم الحكمة وَالأدب ، وله شعر. من تصانيفه : « أنموذج الحكمة » و« الرّسالة المشرقيّة » .

(9) رَاض : قاد وأسْلَسَ.

(10) الجماحُ : التمرُّد.

(11) وَتمام أبيات ابن العميد كما جاءت في اليتيمة :

قـد كنـتُ أرسلـتُ العيُـو ن صباح يومـكَ وَالرّواحَـــا
وبعثـــت مصغيـــة تبيـــت لديـــك ترتقـــبُ النّجاحَـــا
فغـدت علـيّ بجملـــة لـم تُولنـي إلاّ افتضَاحَـــا
وشكـــت إلـيّ خـلا خـلا خرسًـا وأوشحـة فصاحًـــا
منعـــت وساوسهـــا المسـا مـع أن تُحسّ لكـم صياحَـــا

(12) أبـو الفضـل الميكـاليّ (توفّي سنة 436 هـ) : أمير من الكتّاب والشّعراء، من أهل خراسان . صنّف الثّعالبي « ثمار القلوب » لخزانته وأورد في « يتيمة الدّهر محاسن من نظمه ونثره ، ومختارات من كتابه « المخزون » ، من تصانيفه : « المنتحل » و« ملح الخواطر ومنح الجواهر » . (الأعلام 191/4) .

أبا جعفر هلْ فضضتَ الصّدفَ وهل إذْ رميتَ أصبْتَ الهدفْ ؟
وهل جئت ليلاً بلاَ حِشمةٍ (13) لهولِ السُّرى (14) سُدفًا (15) في سُدفِ ؟

وأظنّ السّابق إلى وصف الاقْتضاض حمّاد عجْرد (16) حيث قال وأحْسن :

قد فتحنا الحِصَنَ بعد امْتناعٍ بمبيحٍ فاتـــــحٍ للقـلاعِ
ظفرتْ كفّي بتفريق شمْلٍ جاءنا تفريقُـــــه باجْتماعِ
فإذا شعْبي وشعْبُ حبيبي إنّما يَلْتــام بعــد انْصِداعِ

وليْس بالبارد قول اليَعْقُوبيّ (17) :
وهمّتي مذ كنتُ في حلِّ التّككِ ولم يزلْ يعجبني ثقبُ الفلكِ

وقول أبي عبْد اللّه بن الحجّاج (18) :

---

(13) الحشمة : الحياء والمسلك المحمود.
(14) السُّرى : المسير ليْلا
(15) السُّدف : الظّلام
(16) حمّاد عجـرد (توفّي سـة 161 هـ) : شاعر مں الموالي مں أهل الكوفة من مخضرميّ الدّولتين الأمويّة والعبّاسيّة، ولم يشتهر إلاّ في العبّاسيّة. نادم الوليد بن يزيد وقدم بعداد في أيّام المهديّ. وكانت بينه وبين بشار أهاج فاحشة. قُتل غيلة بالأهواز. (الأعلام 2/272).
(17) اليعْقوبيّ (توفّي سنة 260 هـ) : من شعراء العهد العبّاسيّ. كان خليعا مّا جىا يصف نفسه بالتّطفيل وَالجوع والفقر.
(18) عبد اللّه بن الحجّاج · كاتب وشاعر توفّي سنة 391 هـ. أخباره كثيرة وقد حمعها محمّد بن حمدون، وشعره كثير مجموع في ديوان ضخم كثير المجون والفحش. وقد أفرد الشّريف الرّضيّ من شعره مّا خلا من السّخف. وقد عني ابن حجّاج باستعمال الكلمات التّي كانت تجري على لسان العامّة ببغداد وَالتّي لم تُسجّلها المعاجم، فديوانه سجّل حافل بها (أخلاق الوزيرين لأبي حيّان التّوحيدي، 147).

جميعُ مالـــــــي (19) صَدقةْ لأكْسِـــــرنّ فُستُقَـــــــهْ
لا بُدّ أن أطعنَ بـال رمـح صميـــمَ الدرقــةْ (20)
وأن أمدّ (21) الميلَ (22) في جـوفِ ســــوادِ الحدقـــــهْ
لا بدّ من أن يقع الـ زّرْفيـــن (23) وســـط الحلقهْ (24)

---

(19) في الأصل المطبوع « مُلكي » وَما أثبتناه من « يتيمة الدّهر » للثّعالبي .

(20) الدَّرقة : ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقَب. والبيت على وجهه هذا لا معْنَى له، وقد جاء في اليتيمة كالتّالي :

لا بُــدّ أن أطعْــن بالــ مـردي صميـــم الدّرقـــة

(21) في اليتيمة « أمرّ » بدل « أمدّ ».

(22) الميلُ : الحديدة التي يُكتب بها في ألـواح الدّفتر أو « المُلْمُول » وَهو الذّي يُكحل به البَصرُ، وَهو هنا كناية عن الذّكر.

(23) الزّرفين : حلقة للْباب.

(24) وَتمام الأبيات (وهي من مجزوء الرّجز) كما في اليتيمة (3/58) :

جميـــع مالـــي صدقـــه لأكســـــــرنّ فُستُقـــهْ
فبـــسّ كـــم تهذيـــن يـــا سنديّـــــــة مُطلقـــهْ
لا بــــــدّ للسّنــــدان أن يصبـــــر تحـــت المطرقـــهْ
وفيشلتــــــي لا بـّــد أن أسكبهـــــا فـــــي البوتقـــهْ
لا بـــــدّ أن أطعـن بالــــ مــــردي صميـــم الدرقـــــهْ
وأن أمــرّ الميـــــل فـــــي جــــوف ســواد الحدقـــــهْ
تُريـــــد منّـــي أتـــرك اللـــ حـــــم وأحْســـو المـــرق!
ليـــــس الثّريـــد باتـــي بسّـــي مـــــن الملّقـــــهْ
أريـــــد من لحـــم أست مـــن أعشقهـــــــا مدقّقـــــهْ
وَكـــلّ شـــاه فـــــي غـــدٍ برجْلهـــــا مُعلّقـــــــهْ
لا بـــدّ من أن يقـــع الـــ زرفيـــن جـــوف الحلقـــــهْ

ومن مشهور ما يقع في هذا الفصل ما يُروى أنّ ابن القرّيّة(25) قال للحجّاج(26) وقد بنى ببعض نِسائه الأبكار : « باليُمْن والبَركة وشدّة الحركة والظّفر في المعركة.

ومن مُلَح الكناية عن البِكْر قول بعضهم :

قالوا عشقتَ صغيرةً فأجبتهم أشْهى المطيّ إليّ ما لم يُرْكبِ
كمْ بينَ حبّةِ لؤلؤ مثقوبةٍ لُبستْ وحبةِ لؤلؤ لم تثقبِ

وقد ناقضه من قال :

إنّالمطيّة لا يَلــــذُّ ركوبُها حتّى تُذلّل بالزّمام وتُركَبا
والدرُّ ليسَ بنافعٍ أصْحابه حتّى يُعالج بالسّمُوط ويثْقبا(27)

ومن حُسْن الكناية عنها قولهم : فلانة بخاتَمِ ربّها.

---

(25) ابن القِـرّيّة (توفّي سنة 84 هـ) : أحد بلغاء الدّهر وخطيب يضرب به المثل، وكان أعرابيًّا أمّيًّا. قتله الحجّاج بعد وقعة دير الجماجم.

(26) الحجّـاج بن يوسف الثقفي : (40 ـ 95 هـ) يضرب بظلمه وعسفه وجوره المثل، حاصر مكّة سنة 73 هـ ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل عبد الله بن الزبير ومنع النّاس من الصّلاة عليه عند دفنه وختم أيدي جماعة من الصّحابة بالرّصاص. قتل صبرًا ـ سوى من قتل في حربه ـ مائة وعشرين ألفا ومات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف إمرأة، وكان يحبس الرّجال وَالنّساء في موضع واحدٍ. (نشوار المحاضرة 1/136).

(27) ذكر ابن الجوزيّ في المنتظم (6/5) هذه الأبيات ضمن قصّة نسبها إلى فضل الشّاعرة وأبو دُلف العجْليّ. قال : « وألقى (أبودُلف) عليها (فضل الشّاعرة) يومًا :

فقالت :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم أشهى المطيّ إليّ مَا لـم تُرْكبِ
كـم بين حبّة لؤلو مثقُوبةٍ لُبسـتْ، وحبّة لؤلو لـم تُثقبَ
إنّ المطيّـة لا يلـذّ رُكوبهـا حتّى تُذلّل بالزّمـامِ وتُركـبِ
والحـبّ ليس بنافعٍ أصحابـه مَـا لم يُؤلّـفْ للنّظام ويُثقبِ

ويُرْوى أنّ شيخًـا من العـرب تزوّج بكـرًا فعجز عن افْتضاضها فلمّا أصْبحت سُئِلت عنْ حالها فأنْشدت بيتًا ما شيءَ أدلُّ منه على العجْز عن أخْذِ العُذْرة :

تبيتُ المطايَا حائراتٍ (28) عن الُهدى   إذا مَا المطايا لم تجدْ منن يقيمُها (29)

ومن عويص هذا الباب قول الشّاعر لابن الُمدَبّر (30) :

أبوكَ أرادَ أمّكَ حين زفّت   فلمْ يوجدْ لأمّك بنت سعدِ

يعني لم يُوجدْ لها عذرة، وبنتُ سعْد عُذرة بنتِ كَعْب.

---

(28) في « المحاسن والأضداد » للجاحظ (386) « حَائداتٍ ».

(29) وردت هذه القصّة في « المحاسن والأضداد » بتفصيل أكثر، وذكر الجاحظ أنّ هذا البيت « ليس في الأرض أعفّ منه »، وهْو الضدّ لأبيات أوردهَا قبل هذا الخبر نسوقها مجرّدة من الحكاية التي ضُمّنت فيها، قالت إمرأة تخاطب زوجها، وهو عنّين :

تنـحَّ، لـن تملكنـي بضـمٍّ   ولا بتقبيـلٍ وَلا بشـمٍّ
إلّا بزعـزاعٍ يُسلّي همّـي   يسقـط منه فتْخـيَ فـي كمّي
يطيـر منـه حُزْنـي وَغمّـي

(30) ابن الُمدَبّر (توفّي سنة 279 هـ) وزير، من الكتّاب المترسّلين والشّعراء، من أهل بغداد. إستوزره المعتمد العبّاسي، وتوفّي ببغداد متولّيا ديوان الضّياع للمعتضد. (الأعلام 1/60).

فصل
في الكناية عن الحيض

قال بعض المفسّرين في قوله تعالى : ﴿ فضحكت ﴾ (1) إنّه كناية عن الحيض ، وقال النّبيّ ﴿ﷺ﴾ : « فبما ذمّ النّساء أؤنهنّ ناقصات عقل ودين ؟ » . ثمّ قال : « تدع الصّلاة أحْداهنّ شطْر عمرها » . يُكَنّي عن الحيْض .

وحدّثني سهل بن المرزبان (2) قال : كنت أحضر أحيانا ببغداد مجلس عنان (3) المسمعة ، وكان الأفاضل كثيرا ما ينتابونها للسّماع الفائق ، وكانت تبتدئ بالقرآن اسْتفتاحًا ببركته فتجيد جدًا ، ثمّ تأخذ في شأنها . فبينما أنا ذات يوم عندها إذ ابتدأت بالشّعر ، فارْتفعت أصْوات الحاضرين باسْتعادة عادتها في الابْتداء بالقرآن وهي سَاكتة ، فلمّا عاودوها مرّات قال لهم صاحب السّتارة : ليْس يجوز لها أنْ تقرأ القرآن . فلم يفطن لهذه الكناية أكثرهم حتّى نبّهتُهم أنه كنّى عنْ حيضها .

---

(1) سورة هود ، الآية 31 .

(2) سهل بن المرزبان (توفّي سنة 420 هـ) : أديب مُكثر من جمع نفائس الكتب . أصله من أصبهان . كرّر الرّحلة إلى بغداد في طلب الكتب واستوطن بنسابور وكان معاصرًا للثّعالبي وبينهما مكاتبات وَمداعبات . له نظم حسن ومُصنّفات منها « أخبار أبي العيناء » و« أخبار ابن الرّومي » و« أخبار جحظة البرمكي » و« الآداب ، في الطّعام وَ الشّراب . » (الأعلام 3/143) .

(3) عنانُ النّاطفيّة (توفّيت سنة 266 هـ) : شاعرة مستهترة من أذكى النّساء وأشهرهنّ كانت جارية لرجُلٍ من بغداد يُقال له النّاطفيّ . وكان العبّاس بن الأحنف يهوَاها وَلها أخبار معه ومع أبي نوّاس وغيرهما ، ماتت بخراسان .

ويُحكى أنّ بوران (4) بنت الحسن بن سهل (5) لما زُفّت إلى المأمون (6) حاضت من هيبة الخلافة في غير وقت الحيْض فلمّا خلا بها المأمون ومدّ يده إلى تكّتهـا قرأت ﴿ أتى أمـر اللّه فلا تستعجلوه ﴾ (7). ففطن لحالها، وتعجّب من حسن كنايتها وازداد اعجابًا بها.

وما أشبه وقوفه على كنايتها إلا بحال أبي فراس الحمداني (8) حيث قال :

وكنّى الرّسولُ عن الجواب تطرفًا   ولئن كنّى فلقد عَلِمْنا ما عَنَى

وكنْتُ أقرأ في شعر ابن الحجّاج (9) والأمير مُفْتصد، في بيت لا مجال فيه لمعنى فصد الأمير، ولا أفطن له، إلى أن ذكر لي بعض السّادة أنّه كناية عن الحيْض بلسان المُجّان من أهْل بغداد، فخرج لي معنى البيت، ولولا فرط قذعه لأوْردتُه، ثمّ أنشدت ما يحقّق معناه لبعض العصريّين :

---

(4) بوران (191 ـ 271 هـ) بنت الحسن بن سهـل وزوجة المأمون العبّاسيّ. من أكمل النّساء أدبا وأخلاقا. اسمها خديجة وعرفت ببوران. وليس في تاريخ العرب زفاف أُنْفق فيه ما أنفق في زفافها على المأمون سنة 209 هـ. توفّيت ببغداد.

(5) الحسن بن سهل (166 ـ 236 هـ) وزير المأمون وأحد كبار القادة والولاّة في عصره. إشتهر بالذّكاء المفرط والفصاحة وحُسن التّوقيعات والكرم. توفّي في سرخس.

(6) المأمون (170 ـ 218 هـ) : من أفاضل خلفاء بني العبّاس وعلمائهم وحكمائهم. وهو أوّل من فحص عن علوم الحكمة وحصّل كتبها وأمر بنقلها إلى العربيّة وشهرها.

(7) سورة النّحل، الآية 1.

(8) أبو فراس الحمدانيّ (320 ـ 358 هـ) ابن عمّ سيف الدّولة صاحب حلب. له ديوان شعر، وأشهر قصائده « الرّوميّات »، قالها في الأسر.

(9) تقدّمت ترجمتــه.

مشيتُ على دَمي وركبتُ هولاً، على خطرٍ، وجدّ بي المسيُر
إلى مَنْ بين ثوبيْها الأماني وفي أزرارها القمرُ المنيُر
فلما أن خطبتُ الوصلَ منها حُجبتُ وقيلَ قد قُصد الأميُر
فيا لكَ ثمّ يا لكَ من فصادٍ تعوقُ لي به حَجُ كبيُر

فصل
في الحبل

مجاهد (1) في قول اللّه تعالى : ﴿ فمرّت به ﴾ (2)، قال إنّه كناية عن الحبل، وكثيرًا ما تُجري هذه الكناية في الفارسيّة.

وما أحْسن ما كنّى به الفرزدق (3)، عن جارية له حبلى تُوفّيت، بقوله :

وجَفْنِ سِلاحٍ قد رزئتُ فلم أنحْ عليه ولم أبعثْ عليه البواكِيا
وفي جوفه من صارمٍ ذِي حفيظةٍ لـوْ أنّ المنايا أنسأتْـهُ لـيَالِيَا

وسمعتُ أبا الفضل عبد اللّه (4) بن أحمد الميكاليّ في المذاكرة يقول : تقول العرب في الاسْتخْبار عن الحبْلى والكناية عن

---

(1) مُجاهد (21 ـ 104 هـ) : تابعيّ ومُفسّر من أهل مكّة. أخذ التّفسير عن ابن عبّاس واستقرّ في الكوفة.

(2) سورة الأعراف، الآية 189 .

(3) الفرزدق (توفّي سنة 110 هـ) : شاعر من النّبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللّغة. كان يقال : « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار النّاس. » وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. وكان لا يُنشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلّا قاعدًا. وكان مُشتهرًا بالنّساء. توفّي في بادية البصرة وقد قاربَ المئة. (الأعلام 8/93).

(4) ذكر الثّعالبي في اليتيمة أنّ اسْم الميكاليّ هو عُبيد اللّه، وَهو يذكره هُنا باسم عبد اللّه. وقد أشار خير الدّين الزّركليّ إلى هذا الخلاف بين المؤرّخين في قامُوسِه. وأبو الفضل الميكاليّ (توفّي سنة 436 هـ) : وقد تقدّمت ترجمته.

ولادتها : أَحَلبت ناقتك أم أجْلبت. أي، أتت بأنثى فتُحْلب أم بذكر فيُجْلب للبيع.

وقرأتُ في كتاب « جراب الدّولة » (5) أن قحبة قالت لسحّاقة : ما أطيب الموز، تُكَنّي عن الأيْر، قالت : نعم، ولكن ينفخ البطن، تُكَنّي عن الحَبَل (6).

---

(5) جرابُ الدّولة : أحمد بن محمّد بن عَلَوَيْهْ، من أهل سجسْتان، ويُكْنى أبا العبّاس وكان طنبوريًا وأحد الظّرفاء الطُّيّاب. كان في أيّام المقتدر وأدرك دولة بني بويه، فلذلك سمّي نفسه بجراب الدّولة، لأنّهم كانوا يفتخرون في التّسمية بالدّولة، وكان يُلقّب بالرّيح أيضًا. وَله كتاب « ترويح الأرْواحِ ومفتاح السّرور والأفراحِ » (وهو الكتاب الذّي قصده الثّعالبي) لم يُصنّف في فنّه مثله اِشتمالاً على فنون الهزل وَالمضَاحكِ. (معجم الأدباء 198/4).

(6) وردت هذه الملحة في « محاضرات الأدباء » للرّاغب الأصبهانيّ 273/3.

فصل
في نوادر وملح في كنايات هذا الباب

هَهُنا أبيات مشهورة متنازَعَة منْسوبة إلى جماعة من الجواري والغلمان فمنهم قيْنة رآها صديق لها ولّما خلا بها اسْتخشن العرض وتأذّى بالشّعرة فنبا عنها وهجرها ثمّ إنّها أصلحت من شأنها وكتبت إليه تقول :

فديتكَ سهلتِ الطريقُ الذي اشتكى جوادُك فيه للحفى من خشونته
فأصبحَ بعد الحزْنِ ميدانَ لذّةٍ يجولُ كميتُ (1) اللهو فيه للذّته
فإن كنت ذا عزمٍ على أن تزورنا فبادرْ وعجِّل فالهلالُ ابن ليلته

ومن كناية مُجّان بغداد عن تلك الحال في فم القِنّينة ليف (2)، قال ابن الحجاج (3) :

أحنُّ إذا رأيتُ الكُسَّ (4) ليلاً بجنبي وهو منتوفُ نظيفُ
ولستُ أعافه إن جاء يومًا وفي فمه وأعْلا الرّأس ليفُ
إذا سُمط الخروفُ أكلتُ منه ولستُ أعافه وعليه صُوفُ

(1) الكُميتُ : لونٌ ليس بأشقر ولا أدهم من أسماء الخمرة فيها حمرة وسواد وتعني هُنا الفرس.

(2) اللّيف : قطعة من النّخلة، وتعني هُنا الخرقة

(3) تقدّمت ترجمته.

(4) الكُسّ : من أسماء الفرج

ويُحكى أنّ الوليد بن يزيد (5) أراد امْرأة من قريش على ما يُفعل بالإماء، فقالت :

صاعدُ، أميرَ المؤمنين، صاعدُ لستُ كما اعْتدتَ من الولائِد (6)

ويُحكى أنّ بعض الأكاسرة خرج متصيّدًا فتفرّد عن أصْحابه فإذا هو بشيخ كبير يعمل في أرْض له فقال له يا شيخ : هلاّ أدْلجت فيكون لك من يكفيك ؟ فقال : أدْلجتُ ولكن ضَلَلْت الطّريق، فقال له : زه (7) ، فلمّا تلاحق بالملك أصْحابه أعطى الشّيخ أربعة آلاف درهم.

أراد، هلاّ نكحتَ وأنت شابّ فيكون لك اليوم منْ يكفيك من أولادك، وقول [الشّيخ] (8)، ضَلَلْت الطريق يحتمل معنيين، أحدهما أنّه لم يتزوّج شابّة ولُودة والآخر أنّه لم يَتّبع ما كتبه اللّه لهُ.

وحكى المازنيّ (9) قال : جلس نسَاءٌ ظراف إلى بشّار بن برد فتحدّث وتحدّثْن ثمّ قلن له : لوددنا أنّك أبُونا، فقال : على أنّي على دين كسرى (10).

---

(5) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (88 ـ 126 هـ) : من ملوك الدّولة الأمويّة. عيب بالانهماك في اللّهو والغناء فسعى عليه بعض أهل بيته وَقتلوه. له شعر رقيق وعلم بالموسيقى. وله أخبار كثيرة أتى عليها أبو الفرج الاصبهانيّ في كتاب « الأغاني »

(6) الولائد : الجواري المملوكات.

(7) زه : كلمة فارسيّة تفيد الاستحسان تُقابلها « بخٍ » في العربيّة.

(8) الكلمة التّي بين حاصرتين أضفناها رفعًا للالْتباس.

(9) المازنيّ (توفّي سنة 248 هـ) : لغويّ بصريّ من أئمّة النّحو. من مصنّفاته : « مَا يلحن فيه العامّة » وَ« التّصريف ».

(10) كان الأكاسرة يأتو بناتهنّ. انظر « الامتاع والمؤانسة » لأبي حيّان التّوحيديّ.

وذكر ابن المعتزّ في « طبقات الشّعراء » هذه القصّة بتفصيل أكثر، وجعلها ضمن أخبار بشّار بن برد. قال : « دخل المهديّ أيّام خلافته على جماعة من جواريه، وهنّ مُجتمعات في حجرة بعضهنّ، فجلس عندهنّ يشرب، فقلن له : لو أذنت لبشّار في الدّخول علينا لنسامره=

وسمعتُ أبا نصر سهل بن المرزبان (11) يقول في المذاكرة : سُئل بعض النّساء التّي كان عمر بن عبد اللّه بن أبي ربيعة (12) يشبّب بهنّ عن حالها معه، فقالت : لعن اللّه ذلك الفاسقَ، جمعني وإيّاه مكان كذا في خلوة كذا، فحَللتُ منه بوادٍ غير ذي زرْع، تُكَنّى عن عجْزه عن النّكاح.

ولما قال أبو الصّلت (13) وهو أعرف بالشّعر لعلي بن الجهم (14) :

لعمْرك ما جهمُ بن بدر بشاعرٍ وهذا عليٌ بعده يدّعي الشّعرا
ولكنّ أبي قد كان جارًا لأمّه فلما ادّعى الأشعَار أوهمني أمْرا

اسْتظرف النّاس هذه الكناية وسار البيتان كلّ مسير، فقال عليّ : واللّه ما هو بأبي عذرة. هذا المعنى وإنّما نسج منوال ما دار بين الفرزدق و كُثيّر (15)،

= ونحادثه ـ وَكان من أحسن النّاس حديثا، وأطرفهم مجلسا، وأكثرهم ملحا ـ فأمر به فأُحضر. واجتمعن عليه فحدّثهنّ، وجعل يسرد عليهنّ من نوادره وملحه وينشدهنّ عيون شعره، فسررن بذلك سرورًا شديدًا، وقلن له : يا بشّار، ليتك أبونا فلا نفارقك أبدًا. قال : نعم، وأنا على دين كسرى. فضحك منه المهديّ، وأمر له بجائزة. » (ص. 33)

(11) تقدّمت ترجمته

(12) عمر بن أبي ربيعة (23 ـ 93) : أرقّ شعراء عصره، وهو من طبقة جرير والفرزدق. ولم يكن في قريش أشعر منه. رُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنّه يتعرّض لنساء الحاجّ وَيشبّب بهنّ، فنفاه إلى « هلك » ثمّ غزا في البحر فاحترقت السّفينة به وَبمن معه، فمات فيها غرقا. له ديوان شعر وكتب سيرته « أخبار عمر بن أبي ربيعة » لابن بسّام (الأعلام 52/5)

(13) أبو الصّلت : عبد السّلام بن سالم الهرويّ : محدّث شيعيّ كان مخالطًا للعامّة وراويا لأخبارهم. حبسه المأمون بعد وفاة الامام الرّضا ثمّ أطلق سراحه فعاد إلى هراة (الكُنى والألقاب 1/100).

(14) علي بن الجهم (توفّي سنة 249 هـ) : شاعر رقيق الشّعر أديب، من أهل بغداد. كان معاصرًا لأبي تمّام، وخصّ بالمتوكل العبّاسيّ، ثم غضب عليه المتوكّل فنفاه إلى خراسان، فأقام هناك مدّة. قُتل غازيًا. له ديوان شعر. (الأعلام 270/4)

(15) كثيّر عزّة : (توفّي سنة 105 هـ) أبو صخر، شاعر متيّم مشهور من أهل المدينة. يذكر أنّه من غلاة الشّيعة ويُنسب إليه القول بالتّناسخ.

فسئـــــــل عن ذلـك، فقـال : بلغني أنّ كثـيّرا أنشد لنفسه قصيدةً اسْتحسنها السّامعون وفيهم الفرزدق، فقال كُثيّر : يا أبا صخر [16] هل كانت أمك ترد البصرة ؟ فقال لا يا أبا فراس [17] ولكن كان أبي كثيًرا ما يردها.

ومن خبيث الهجاء المشتمل على التّصريح قول أبي الحسن بن طباطبا العلوي [18] لأبي علي بن رستم [19]، وكانت حُرمته تُتّهم بآذريون غُلامه :

يا رستميّ لقد لهوت ببركةٍ أصبحت تحمي حسنها وتصونُ
والعرسُ لاهيةٌ ببركتها التي يجري إليها الماء آذريونُ

سئل رجل عن امرأة فقال : فيها خصلتان من خصال الجنّة يُكْنِي عن البْرد والسّعة [20].

وحـدّثني أبـو سعـد نصر بن يعقوب [21] فقال : طلب رجُل غريب ببغداد امْرأة حسناء يتزوّجها، فقالت له دلاّلة : عندي هنا امْرأة كأنّها باقة

(16) في الأصل المطبوع « أبا ضحوك »، وَما أثبتناه من « معجم الأعلام » للزّركلي.

(17) أبو فراس : كنية الفرزدق.

(18) ابن طباطبا العلويّ : محمّد بن أحمد المتوفّى سنة 322 هـ بأصفهان، وكانت له وطنا ولَم يتركها أصلا. وكان معجبا بشعر ابن المعتزّ. وكان من توسّعه في القول وقهره لأبيّه أنّه نظم لبعض أصحابه قصيدة طويلة خالية من حرفي الرّاء والكاف للثغة شديدة كانت في لسانه تعجزه عن نطقهما.

(19) أبو عليّ بن رستم : لم نقع له على ترجمة في مَا بين أيدينا من مصادر.

(20) نسب الرّاغب الاصبهانيّ هذه القولة في « محاضرات الأدباء » إلى عمر بن عثمان، ولعلّه من أولاد عثمان بن عفّان.

(21) نصر بن يعقوب الدّينَوَريّ (توفّي سنة 410 هـ) علم بالأدب، من كبار الكتّاب. له مصنّفات منها « روائع التّوجيهات من بدائع التّشبيهات » و« ثمار الأنس في تشبيهات الفرس » و« التّعبير القادري » في الأعلام (الأعلام 8/ 29).

نرجس، فخطبها وتزوّجها فلمّا دخل، إذ هي عجوز دَميمة فدعا بالدّلاّلة وقرّعها على كذِبها، فقالت : ماكذبْتُك حين قلت كأنّها باقة نرجس، وإنّما كنّيْت عن صُفرة وجْهها وبياض شعْرها وخضْرة سَاقِها.

ومن نوادر ما كُنّي به عن المرأة الخائنة لفراش زوجها قول ابن الروميّ (22)، ويقـــــال لأبي علي البصير (23) :

أنتَ يا شيخُ نائمٌ فتنبّه وانتصحني فلست من غشّاشـك
لكَ أنثى تُزفّ في كلّ وكرٍ وتربّي الفراخ في أعشاشك

والعامّة، تكني عن استئناف المعاشقة ومعاودة المواصلة بعد وقوع الفترة (24) حـــدوث السّلوة بتسخين الأرُزّ كما كتب بعضهم لعشيقة له :

خلوتُ بذكركم إذ غاب عنّي رقيبٌ كنتُ قدْمًا أتّقيـه
وبرّدت المقيل فدتكِ نفسي وتسخين الأرزّ يطيبُ فيه

وقال آخر :

ولستُ أحبُّ الرُزّ أوّلَ طبخه فكيفَ أحبُّ الرُزّ وهو مسخّنُ ؟

---

(22) تقدّمت ترجمته

(23) أبو علي البصير : لم نقع له على ترجمة.

(24) الفتْرة : الجفاء والمقاطعة والهجرُ.

الباب الثاني
في ذكر الغلمان والذُّكران ومن يقول بهم والكناية عن أوصافهم وأحوالهم

فصل في الاحتلام والختان

يكنى عن الختان بالطّهر والتّطهير.

ومن أملح ما سمعت في ذلك قول الصّنوبريّ (1) :

أرى طهرًا سيثمر بعد عرسًا كما قد يثمر الطّربُ المُدامة
وما قلم بمغنٍ عنك إلاّ إذا ألْقيتَ منه كالقـلامة

وما ينقضي تعجُّبي من حسن هذه الكناية وملاحة هذا التّمثيل كما لا يتناهى اعجابي بقول أبي ابْراهيم اسماعيل بن أحمد العامري الشاشي (2) من قصيدة مدح بها فخر الدّولة (3) وكنى عن تطهيره ولديْه بأحسن كناية، وما أظنّ أن أحدًا خاطب ملكًا في معناه بأحسن وأبْدع منه :

أمسستُ شبلك في حقِّ الهدى ألما لولا التّقى لسفكنا فيه ألف دمِ
جلوتَ سيفًا ليرتاح الشجاع وقد شذّبتَ غصنًا لينمي قامة النّسمِ (4)

---

(1) الصّنوبريّ (توفّي سنة 334 هـ) : الحلبي الأنطاكيّ : شاعر إقتصر في أكثر شعره على وصف الرّياض والأزهار. وكان ممّن يحضر مجالس سيف الدّولة. تنقّل بين حلب ودمشق وجمع الصّوليّ ديوانه في نحو 200 ورقة. (الأعلام 1/207).

(2) الشّاشي : شاعر، ذكر الثّعالبي في « يتيمة الدّهر » أنّه من روّاد الصّاحب بن عبّاد، وأنّه أصيب بالفالج ولَم يحدّد تاريخ وفاته (3/382).

(3) فخر الدّولة : أبو الحسن علي بن ركن الدّولة، تولّى بعد أخيه مؤيّد الدّولة، وكان المطيع قد لقّبه فخر الدّولة ولقّبه الطّائع بفلك الدّولة. توفّي سنة 387 هـ.

(4) ورد البيتان في « يتيمة الدّهر » وهما من البسيط.

كما لا أحسب أن أحدًا كنّى عن احتلام الغلام بأحسن من قول ابراهيم ابن العبّاس (5) في المنتصر (6) وهو إذ ذاك وليّ عهد :

هذا هلالُ العهد قد أقمرَ بالمنتصِر
وليُّ عهدُ الناس وابنُ امام البشرِ
يا ليلةً نعدّها مضتْ لنا من صغرِ
أبدَتْ هلالاً وانجلتْ مع صبحها عن قمرِ

ومما يُكنّى به عن القُلْفة (7) قول دِعْبِل (8) :

ما زال عصياننا للّه يوبقُنا حتّى دُفعنا إلى فتحٍ ودينارِ
إلى علجين (9) لم تُقطعْ ثمارهما قد طال ما سجدا للشّمس والنّارِ

ومن ظريف الكناية عنها ما قاله أبو سعيد بن دُوسْت (10) في غلام أُتّهم

---

(5) ابراهيم بن العبّاس (176 ـ 243 هـ) : أبو إسحاق الصّولي، كاتب العراق في عصره. نشأ في بغداد فتأدّب وقربّه الخلفاء، فكان كاتبا للمعتصم والواثق والمتوكّل، وتنقّل في الدّواوين والأعمال إلى أن مات. من مصنّفاته : « ديوان رسّائل » و« ديوان شعر » و« كتاب الدّولة » و« كتاب العطر » و« كتاب الطّبيخ ». (الأعلام 1/45).

(6) المنتصر (223 ـ 248 هـ) · محمّد بن جعفر المتوكّل : بويع بالخلافة بعد أن قتل أباه، وفي أيّامه قويت سلطة الغلمان، فحرّضوه على خلع أخويه المعتزّ والمؤيّد فخلعهما. وهو أوّل من عداً على أبيه من بني العبّاس. ولم تطل مدّته (الأعلام 6/70).

(7) القُلْفة · الغُرلة، وهي جلدة الذّكر التّي أُلبستها الحشفة، وهي التّي تُقطع من ذكر الصبيّ

(8) تقدّمت ترجمته

(9) العَلْجُ : الرّجل من كفّار العجم، يُقال للرّجل القويّ الضّخم منهم.

(10) أبو سعيد بن دُوسْت (توفّي سنة 431 هـ : عالم بالعربيّة من أهل خراسان. أخذ اللّغة عن الجوهريّ، وأخذ عنه الواحدي. له تصانيف، منها « ردّ على الزجّاجي » فيما استدركه على ابن السّكّيت في إصلاح المنطق وكان أصمّ. (الأعلام 3/326).

بمجوسيٍ :

عجبت من حسنك يا جوْهريّ ومـن مخـازي فعْلـك المْنْكَـر

تتركُ ما يُقَشّر من فولنا وتبلـعُ الفُـولَ ولـم يُقَشّرِ

فصل
في الكناية عن الغلام الذي عبث به ووصف فراهيته وسائر أوصافه

ويُكْنى عنه بالعِلق والمطبوع والُمعاشر والُمواسي.

ويقال، فلان يجيب المضْطرّ إذا دعاه وهو من مكروه الاقْتباس الذّي نبّهت عليه في كتاب الاقتباس من القرآن. وفلان من الباب، كما قال ابن طباطبا (1) :

عند صديقٍ لنا من البابه   يهيجُ للمستهامِ أطرابُه

وفلان من شرط يحيى بن أكثم (2)، كما قال الأستاذ الطّبري :

يدورُ بها ساقٍ تدور عيوننا   على عيْنه من شرطِ يحيى بن أكثم

(1) تقدّمت ترجمته

(2) يحي بن أكثم (159 ـ 242 هـ) قاض رفيع القدر، عالي المكانة من نبلاء الفقهاء. ولي قضاء البصرة، ثمّ قضاء القضاة ببغداد في عهد المأمون. وكان مع تقدّمه حسن العشرة، حلو الحديث. وكان يُتّهم بأمور شاعت عنه وتناقلها النّاس في أيّامه وتداولها الشّعراء. توفّي في الرّبذة.

ويحيى بن أكثم مشهور باللواطة (3).

وقد أحسن القاضي علي بن عبد العزيز (4) في الكناية عن شرط اللاطة بقوله من قصيدة كتبها إلى أبي القاسم علي بن محمد الكرخي (5) :

---

(3) كان يحيى بن أكثم يرمى باللّواطة، والأخبار في ذلك كثيرة ومشهورة. من ذلك مَا جاء في كتاب « أخبار القضاة » لوكيع : « كان ابن زيدان الكاتب بين يدي يحيى بن أكثم يكتب، فقرص خدّه واحْمرّ وجهه ورمى بالقلم، فقال يحيى : خذ القلم واكتب :

أيا قمرا جمّشته فتغضّبا ... فأصبح لي من تيهه مُتجنّبا
أما كنت للتجميش والعشق كارهًا ... فكن أبدًا يا سيّدي متنقّبا
وَلا تظهر الأصداغ للنّاس فتنة ... وتجعل منها فوق خدّيك عقربَا
فتقتل معشاقا وتفتن ناسكا ... وتترك قاضي القوم صبّا معذّبا

وأورد الجرجاني في كتاب « » أبياتا لأحمد بن نعيم يعرّض فيها بيحيى بن أكثم :

أصبح دين اللّه ثار رحمه ... اللّه يبنيه ويحيى يهدمهْ
ألوط قاض في البلاد نعلمه ... مذولي الحكم أبيحَ حُرمهْ
وانتهكت بين القضاة حرمه ... واضطربت أركانه ودُعمُهْ
يا ليت يحيى لم يلده أكثمه ... ولم تطأ أرض العراق قدمُهْ
ملعونة أخلاقه وشيمُهْ ... أيّ دواة لم يلقها قلمُهْ ؟
وأيّ حجر لم يلجْهُ غيْلمُهْ ؟

ومن النّوادر التّي تُروى عن يحيى بن أكثم ما أورده الرّاغب الاصبهانيّ في « محاضرات الأدباء » : « رأى يحيى بن أكثم في دار المأمون جماعة من صِبَاح الغلمان فقال : لولا أنتم لكنّا مؤمنين ! فرفع ذلك إلى المأمون فعاتبه فقال : إنّ درْسي كان انتهى إلى هُنا.

وفي يحيى بن أكثم يقول أبو نوّاس :

أنا الماجن اللوطيّ ديني واحد ... وإنّي في كسب المَعاصي لراغب
أُدينُ بدين الشّيخ يحيى بن أكثم ... وإنّي لمن يَهْوَى الزّنا لمجانِبُ.

(4) علي بن عبد العزيز الجرجانيّ : تقدّمت ترجمته.

(5) أبو القاسم علي بن محمّد الكرخي : لم نقع له على ترجمة في مَا بين أيدينا من مصادر.

فإن يكُ قد سلا وثناهُ عني رضاعُ الكأس أو ظبي ربيبُ
تسلّطه النّفوسُ على هواها وتُعطيه أزمّتها القلوبُ
بأعْطافٍ تُباح لها المعاصي وألحاظُ تحلُّ لها الذّنوبُ
فلي كبدٌ به حرّى وقلبٌ على ما فيه من كمدٍ طَروبُ

ومن مُلَح أبي نواس (6) في هذا المعنى قوله :

مرّ بنا والعيونُ ترمقُه تجرحُ منه مواضع القبلِ
أفرِغَ في قالب الجمال فما يصلح إلاّ لذلك العملِ

ولأبي سعيد دوست (7) في ذكر ذلك العمل :

تعلّقته علقًا (8) كلحْم الجملِ وهذا الرّبيعُ أوان الحملِ
فرأيْك مولاي في غيْره إذا ما نشِطْنا لذاك العَملِ

وعلى ذكر ذلك العمل، فإنّ أبا الحسن بن فارس (9) أنشد لرجل بشيراز يعرف بالهمداني، وقد عاتب رجلًا من كتّابها على حضوره طعامًا مرض منه :

وُقيتَ الرّدى وصرُوفَ العِلَلِ ولا عرفت قدماكَ الزّلَلْ
شكى المرضَ المجدُ لما مرضت فلمّا نهضت سليمًا أبلْ
لك الذّنب لا عتبُ إلاّ عليك لماذا أكلتَ طعام السّفلْ

(6) أبو نوّاس، الحسن بن هانئ : تقدّمت ترجمته.

(7) أبو سعيد بن دُوسْت : تقدّمت ترجمته.

(8) العَلَق : الصبيّ الصّغير يمصّ أصابعه.

(9) ابن فارس (329 ـ 395 هـ) : من أئمّة اللّغة والأدب. أصله من قزوين، وأقام مدّة في همذان، ثمّ انتقل إلى الريّ فتوفّي فيها. من تصانيفه : « معجم مقاييس اللّغة » و« المجمل » و« الصّاحبي » في علم العربيّة، ألّفه لخزانة الصّاحب بن عبّاد. (الأعلام 1/193).

طعامٌ يُسوّى ببيعِ النبيذِ ويُصلحُ من جَذْرِ (10) ذاك العمل

ومن كنـايات الصّـوفية في هذا الباب قولُهم للغلام الصّبيح شاهد، ومعناهم فيه أنه لُحسن صورته شهيد بقدرة اللّه عزّ اسْمه على ما يشاء.

ويُحكى أنّ أصحاب أبي علي الثّقفي (11) تحاموا لفظة الشّاهد بين يديه هيْبة له فتواصَوْا فيما بينهم أنْ يقولوا للغلام الصّبيح حُجّة. فاتّفق أنّهم صحِـبُـوه في بعض الـطّريق فترآى لُهمْ من بعـيد غلام، فقـال أحدُهم : حجّة، وهو يظنّ أنّ أبا عليّ لا يفطن لمغزاه، فلمّا قرُب الغلام منهم كان غير مليح، فالْتفت أبو عليّ إليهم وقال : دَاحِضة.

وسمعْت بعض الفقهاء ينسِبُ هذه الحكاية إلى أبي اسْحاق المرْوَزيّ (12) ونظيـــرها مـا يُرْوى أنّ شبّانا مشوا مع ابن أُلمنْكدِر (13) فكانوا إذا رأوْا امْرأة جميلة قالوا بينهم : قد أبْرقْنا، وهم يظنّون أنّ ابن المنكدر لا يفطن لمغْزاهم فرأوا قبّة مجلّلة (14) فقال أحدُهم : بارقة، وانْكشف جلال القبّة عن امْرأة قبيحة، فقال ابن أُلمنْكَدِر : يا أخي هذه صاعقة.

---

(10) جذر : الثّمن.

(11) لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

(12) أبو إسحاق المَرْوَزيّ (توفّي سنة 340 هـ) : فقيه إنتهت إليه رياسة الشّافعيّة بالعراق بعد ابن سريج. مولده بمرور وأقام ببغداد أكثر أيّامه. وتوفّي بمصر من تصانيفه « شرح مختصر الزنى » (الأعلام 1/28).

(13) ابن المنكدر : (54 ـ 130 هـ) : زاهد من رجال الحديث، من أهل المدينة. أدرك بعض الصّحابة وروى عنهم. له نحو مئتي حديث. (الأعلام 7/112).

(14) المجلّل : السّحاب الذّي يُجلّل الأرض بالمطر، أي يعمّ

ومن مليح الكناية عن الغلام المخنّث قول سعيد بن حميد (15) :

ألستُ ترى ديمةً تهطلُ وهذا صباحك مستقبلُ
وهذا المُدام وقد راعنا بطلعته الشّادنُ (16) الأكحلُ
فبادرْ به وبنا سكرةٌ تُهوّنُ أسْباب ما نَسألُ
فإنّي رأيتُ له طُرّةً (17) تدلُّ على أنّه يفْعلُ

وأُنْشدْت للحسن المرْوزيّ (18) الضّرير في غلام نصْرانيّ :

وما أنسَ لا أنسَ ظبْي الكناسِ يريد الكنيسة من دَاره
فيا حسْن ما فوق أزْراره ويا طيبَ ما تحت زُنّاره

وكتب السّريّ الموصلّي (19) إلى صديق له سُرّيّة (20) في يوم الشّك ويصف ما عنده من الملاهي :

---

(15) سعيد بن حميد : (توفّي سنة 250 هـ) : كاتب مُترسّل من الشّعراء أصله من أبناء الدّهاقين ومولده ببغداد. قلّده المستعين العبّاسي ديوان رسائله. أكثر أخباره مناقضات له مع فضل الشّاعرة. وشعره رقيق، كان ينحو فيه منحى ابن أبي ربيعة وأضرابه. جمع أحمد السّامرائي البغدادي « رسائله وأشعاره » (الأعلام 94/3).

(16) الشّادن : ولد الظّبي.

(17) الطرّة : النّاصية.

(18) الحسن المروزيّ الضّرير : ذكره الثّعالبي في « يتيمة الدّهر » ولم يُترجم له

(19) السّريّ الرّفّاء الموصلّي (توفّي سنة 366 هـ) أديب من أهل الموصل، كان في صباه يرفو ويطرّز فعُرف بالرفّاء. قصد سيف الدّولة فمدحه وأقام عنده مدّة. ثمّ انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، ونفق شعره إلى أن تصدّى له الخالديان، فكانت بينه وبينهما مهاجاة فآذياه وأبعداه عن مجالس الكبراء، فضاقت دنياه واضطرّ للعمل في الوراقة. وركبه الدّين، ومات في بغداد على تلك الحال. من مصنّفاته : « المحبّ والمحبوب وَالمشموم وَالمشروب. » (الأعلام 81/3).

(20) السّرّيّة : الجارية المتّخذة للملك والجماع.

غداة الشكّ ندعوك إلى الراح تغاديها
وعندي قينةٌ تُعطيك درّ القول من فيها
إذا دغدغت العودَ حسبناهُ يُناغيها
وراحٌ كُلّلتْ بالطّيب من أنفاس ساقيها
وورْد كخدود الغيدِ تحكيه ويحْيها
وعلق (21) يحمل الرّاية لا غشّا وتمويها

وللصّاحب:

إنّ ابن مسرور فتًى كاتبٌ يأخذ من كل صديقٍ قلم
مستحسنُ الشّارة ذا شارةٍ من أحذقِ الناس بحملِ العلمِ

ولبعض العصريينّ من أهل نَيْسابور :

أرسلت في وصْف صديقٍ لنا ماحقةً كُتبت بالعسْجد (22)
في الحسن طاووسٌ ولكنّه أسْجد في الخلوة من هُدْهدِ 23

ولم أسمع أحْسن وأبدَع من قول أبي الحسن الجوْهريّ الجرجانيّ (24) لبعض الأجلّة يتوسّل إليه بخدْمته في صباه ويُكني عن المعنى ألطف كناية :

ألَا يا أيُّها الملكُ المعلّى أنِلْني من عطاياك الجزيلة

---

(21) العِلْقُ : الثّوب الكريم أو الترس أو السّيف النفيس من كلّ شيء، سُمّي به لتعلّق القلب به. والعلق أيضا الخمرة لنفاستها.

(22) العسْجد : الذهب، وقيل هو اسم جامع للجوهر كلّه من الدرّ والياقوت.

(23) نسب الجرجاني في كتاب الكنايات البيت الأخير إلى أبي مصور الثّعالبي

(24) أبو الحسن علي بن أحمد الجوهريّ : قال عنه الثّعالبي في « اليتيمة » . نجم جرجان، وهو من صنائع الصّاح وندمائه وشعرائه. كان الصّاحب يصرفه في الأعمال وَالسّفارات، توفّي في جرجان. (يتيمة الجدهر، 32,29/4)

لعبْدك حرمةٌ والذّكر فحشٌ فلا تُحوجْ إلى ذكرِ الوسيلة (25)

وممّا يُستملح للمطراني الشّاشي (26) ما كتبه إلى صديق له رأى عنده غلامًا :

رأيتُ ظبيًا يطوفُ في حرمك أغنّ (27) مستأنسًا إلى كرمك
أطمعني فيه أنه رشــأ (28) يرشي ليُغْشى وليسَ من خدمك
فاشغله في ساعةٍ إذا فرغـ ـتْ دواته إن رأيتَ من قلمك (29)

ومنْ مليح ما كُنّي به عن الغلام الوسيم غير الجسيم قول الجمّاز (30) :

ظبيكَ هذا حسنٌ وجْهـه وما سوى ذاك جميعًا يُعابْ
فافْهم كلامي يا أخي جُمْلة لا يشبه العِنوانُ ما في الكتابِ

ولغيْره في معناهُ :

أُتيح لي يا سهَلْ مستظرف تقتلني ألْحاظه السّاحرة
ما شئتَ من دُنْيا ولكنّه مُنافقٌ ليْست له آخرة

---

(25) الأبيات في اليتيمة وَهي من الوافر.

(26) المطراني الشّاشي : قال عنه الثّعالبي في اليتيمة : « شاعر الشاش وواحدها. كان يرد الحضر بالمدح وينصرف بالمنح . وله شعر مُدوّن كثير اللّطائف ». (115/4).

(27) الأغَنّ : من الغُنّة : صوت فيه ترخيم نحو الحياشيم، تكون من نفس الأنف، والأغنّ الذّي يخرج كلامه من خياشيمه.

(28) الرّشأ : الظّبي إذا قوي وتحرّك ومشى مع أمه، والجمع أرْشاء.

(29) الأبيات في اليتيمة وهي من المنسرح.

(30) الجمّاز : شاعر أديب من أهل البصرة. كان ماجنا خبيث اللّسان. دخل بغداد في أيّام الرّشيد وفي أيّام جعفر المتوكّل، وكان المتوكّل قد كتب في حمله إليه. (الكنى والألقاب 151/2).

وفي مثل ذلك قال الظّرفاء نثرًا ليس وراء عبادان الا الخشبات فنظمه أبو نصر سهل بن المُرْزُبَان (31) فقال :

يا غزالاً وجهه كالبدْر يجْلُو الظّلماتِ
ذقتُ من فيه ومن قُبْلته ماء الحيّاتِ
ليْس لي من بعد عبا دان إلاّ الخشَباتِ

وسمعت بعْض العامّة يقول بالفارسيّة في وصف غُلام يأخذ من دُبُره وينفق على قُبلِه. فلان يُذيب الأَلْية على الشّحْم.

ثمّ سمعت بعض العامّة يقول في ذلك : فلان يُنفق من طسْته على إبريقه.

وبلغني أن بعض أصحاب البريد بنيْسابور كتب إلى الحضْرة ببخارى في إنهاء ما شجر(32) بين بعض المشايخ بها وبين أحد القواد الأتراك، فقال في حكاية ذلك وأنه قال له : يا مؤاجرًا، فلمّا نظر وزير الوقْت في هذه اللّفظة أنْكرها وأكْبرها وصرف صاحب البريد عنْ عمله، فلمّا ورد بخارى وحصل في مجلسه قرّعه على تلك السّقطة ووبّخه وقال له : هلاّ صُنْت حضرة السّلطان عن مثل تلك اللّفظة المقذعة ؟ فقال : أيّد اللّه الشّيْخ الجليل، فما كنت أكتب إذًا وقد أُمرْت بإنْهاء الأخبار على وجوهها. فقال : أعَجَزْت ويحك أن تُكَنّي عنها فتقول شتمه بما يَشْتُم به الأحْداث أوْ كلامًا يُؤدّي معناه ؟ .

(31) تقدمت ترجمته

(32) شجر . جدّ وحدث

فصل

في الكناية عما يتعاطى منهم

حكى المبّرد (1) قال : كان سليمان بن وهْب (2) يكتب لموسَى بن بَغَا (3) ويتعشّق مملوكًا لُموسى ولا يرى به الدّنيا، فخرج موسى ذات يوم متصيّدًا ومعه أبو الخطّاب الكاتب (4)، فورد عليه أمر احْتاج فيه إلى سليمان فأمر أن يُسْتدعى ، فقال أبو الخطّاب لذلك الغلام : بادر إلى سليمان فأحْضره، فركض إليه فلمّا حصل بين يديه تلطّف له سليمان حتّى نال ما أحبّ منه ونهض معه إلى مُتصيَّد مُوسى وامْتثل أمره. فلمّا كان من الغد كتب إليه أبو الخطّاب :

لا خيرَ عندي في الخليلِ ينامُ عن سهَرِ الخليلِ
قولا لا كفر من رأيـ ـت لكلِّ معروفٍ جليلِ

(1) المُبَرِّد (211 ـ 285 هـ) لغويّ ونحويّ بصريّ. حاص عديد المناظرات اللّغويّة مع ثعلب رأس المدرسة الكوفيّة. من تصانيفه « الكامل » و« المقتضب ».

(2) سليمان بن وهْب (توفّي سنة 272 هـ) : وزير، من كبار الكتّاب. من بيت كتابة وإنشاء في الشّامّ وَالعراق. ولد ببغداد، وكتب للمأمون وهو ابن 14 سنة. وولي الوزارة للمهتدي بالله. ونقم عليه الموفّق بالله فحبسه، فمات في حبسه. له « ديوان رسائل ». وكان من مفاخر عصره أدبا وعقلا وعلما. ولأبي تمّام والبحتري مدح له ولأهله (الأعلام 3/137)

(3) موسى بن بغا . أحد القادة الأتراك الكبار، وهو ابن خالة المتوكّل. قاد جيوشا عدّة لمحاربة العصاة.

(4) أبو الخطّاب الكاتب . لم نقع له على ترجمة

هل تشْكرن لي الغداة تلطّفي لك في الرّسولِ
إذ نحن في صيْد الجبالِ وأنت في صيْـد السّهولِ

ومثلُ هذه الكناية أحْسن من كناية ابن الرّومي (5) في قوله :

هل مانعي حاجتي مليحٌ من خلقه البغْض واللّجاجة
فإنّمـا حاجتـي إليه حاجةُ ديـكٍ إلـى دجاجة

وقد مرّت بي أبيات لابْن المعتزّ (6) في نهاية الملاحة يشتمل البيت الأخير منها على كناية مستظرفة جدًّا وهي :

وشادنٍ أفْسد قلْـ ـبـي بعـد حسـنِ توْبتِـهْ
جاء بجيش الحُسْن في عديـــده وعدّتِـــه
فماتَتْ (7) التوبة لَـ ـمّـا أن بـدا مـن هيبتـه
وجـاء ابليـسُ يُهَـ ـنّـي نظـري بطلعتِـــهْ
ولـم (8) يـزلْ يذكّرنـي ربّـي وعفـو قُدْرتِـه
وقـال لـي : مـا قبْلـة، وغيرُها (9) في رحمتِه (10)

---

(5) تقدّمت ترجمته

(6) ابن المعتزّ : (249 ـ 296 هـ) عبد اللّه بن المعتزّ، الخليفة العبّاسيّ. ولد في بغداد ونشأ فيها بعيدا عن البلاط ودسائسه، حتّى استخلف المقتدر وثار عليه بعض رؤساء الجند والكتاب، فخلعوه وحملوا ابن المعتزّ إلى العرش وبايعوه بالخلافة ولقّبوه المرتضى باللّه، غير أن خلافته لم تدم إلّا يومًا وليلة ثمّ فاز به المقتدر وَقتله. من مصنّفاته : « طبقات الشّعراء » وله ديوان شعر.

(7) في الدّيوان « وماتت ».

(8) في الدّيوان « فلم »

(9) في الدّيوان « مَا قُلْتَهُ وَغيرهُ ».

(10) الأبيات من قصيدة، في الدّيوان، بعنوان « سلاح اللّحظ »

وعلى ذكر القُبْلة فقد أُنْشِدْتُ أبياتًا لرزين العروضيّ (11) فيها كناية لطيفة عمّا يتْبع القُبْلة وهي :

إنّي من حبّكَ يا سيّدي في خطّةٍ هائلةٍ صعبةْ
وقد أذنتَ اليومَ في قبلةٍ راعيتَ فيها حُرْمة الصّحبةْ
كأنّني إذ نلتُها خلسةً قبّلت ركن البيْت ذي الحجبةْ
والرّكنُ قد فزتُ بتقبيله فكيفَ لي أن أدْخلَ الكعبةْ ؟

ومن ظريف الكناية عن القُبْلة ما أنشدنيه أبُو الفضل عبد اللّه بن أحمد الميكاليّ (12) لعبد اللّه بن النّجم (13) :

شكي إليكَ ما وجدَ من خانه فيكَ الجلَدْ
حيرانُ لو شئتَ اِهْتدي ظمآن لو شئتَ وردْ

ومن حُسْن الكناية عن العُدول عن مباشرة النّسوان إلى مفاخذة الغلمان قول بعضهم :

لا أركبُ البحرَ ولكنّني أطلبُ رزق اللّه في السّاحلِ

وأبْدع ما سمعت في معْنى الضّيق والسّعة بأحْسَن كناية وألطفِ عبارة ما أنْشدِنيه أبُو نصْر أحْمد بن براكويه الزنجَانيّ (14) لنفسه في غُلاَمه يُوسف :

---

(11) رَزين العروضيّ (توفّي سنة 247 هـ) شاعر، كان يأتي بأوزان غريبة من العروض ـ ناحيا نحو أستاذه عبد اللّه بن هارون ـ فأتى ببدائع جّمة. وهو من موالي طيفور خال المهديّ. وكان يكثر من زيارة عنان الشّاعرة، جارية النّاطفيّ، وله معها أخبار ومعارضات. (الأعلام 3/20).

(12) تقدمت ترجمته

(13) عبد اللّه بن النّجم : لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

(14)أبو نصر أحمد بن براَكويْه الزنجانيّ المعروف بالثّلول : قال عنه الثّعالبي في اليتيمة : « كلّ ما سمعت من شعره ملح وطرف، ونكت لا يسقط منها بيت. » (3/471)

مضى يوسفُ عنّا بتسعين درهمًا　　　وعاد وثُلْث المال في كفِّ يُوسفِ
فكيف يُرجّى بعد هذا صَلاحهُ　　　وقد ضاع ثُلْثا ماله في التصرّف ؟(15)

ونظيرُ هذه الحكاية في فحْش المعنى وطهارةِ اللّفظ ما أنْشدنيه أبُو جَعْفر مُحمّد بن موسى الموسَوِيّ (16)، قال أنشد محمّد بن عيسى الدّامغانيّ (17)، ولم يسمِّ قائله :

تذكّر إذ أرسلْته بيْدقًا فيكَ فوافَاني فرْزَانا (18)

ومن عَادة الشّطرنجيّين إذا تفرْزن بيدق لهم في الرّقعة أن يعْلمُوا عليه بما يتميّز معه عن سَائر البيادق، فقد كنّى هذا الشّاعر عن ذلك الشّيء أنّه دخَل وهو نظيف وخرج وهو مُعْلَم قَذِر.

ومن نَادر الكنـاية عن اتْيان الغلام ما أنْشدنيهِ القاضي أبُو بكْر البُسْتيّ (19) للسّرّيّ المُوْصليّ (20) من أبيات :

أنختُ في حانة أُتْرجّة (21)　　　وحبّذا السّكر بها من مناخِ
يصافح الخمرُ بها نفسها　　　ونبذرُ النّسلَ بها في السّباخِ

---

(15) البيتان في اليتيمة، وهما من الطّويل.

(16) لم نعثر له على ترجمة

(17) محمّد بن عيسى الدّامغاني : قال عنه الثّعالبي في اليتيمة : « تضرب به الأمثال في حسن الخطّ والبلاغة وأدب الكتابة والوزارة (4/ 143).

(18) فرزان : من لعب الشّطرنج، أعجميّ مقرب وجمعه فرازين. والفرزان في الشطرنج الملكة.

(19) أبو بكر البستيّ : لم نهتد إلى ترجمته.

(20) تقدمت ترجمته

(21) الأترجّ والأترنْجُ : شجر حمضيّ ناعم الأغصان والورق والثّمر، حامض كاللّيمون، وهو ذهبيّ اللّون، ذكيّ الرّائحة.

فانْظر كيف كنّى عن اللّواطة بالبذر في سباخ لا تنبْتُ.

ومن مشْهور ما يليق بهذا الفصْل قول بعضهم :

من كلّ شيءٍ قَضَتْ نفسي مآربها إلاّ من الطّعن بالقِثّاء (22) في التّين
لا أغرس الدّهر إلاّ في مشرقةٍ ولا يجوّز (23) إلاّ تحت سرقين (24)

وأنشدني أبو الفتح البستي (25) لنفسه :

أفدي الغزالَ الذّي في النّحو كلّمني مناظرًا فاجْتنيت الشّهد من شفته
وأوردَ الحجج المقبُولَ شاهدُها محقّقًا ليريني فضْل معرفتِه
ثمّ افْترقنا على رأيٍ رضيتُ به فالرَّفْع (26) من صفتي والنّصب من صفته

يعني أنّه كان فاعلاً والفاعل مرفوع والغزال مفعُولاً به منصوب ولأبي تّمام (27) فيما يقاربه :

(22) القثّاء : نوع من الخيار

(23) كذا في الأصل المطبوع ولم نهتد إلى كيفيّة تصويبها، والأرجح أنها « أجُورُ » من إجْتاز.

(24) السِّرقين وَالسِّرقين : مَا تدمّل به الأرض

(25) تقدّمت ترجمته.

(26) الأبيات في اليتيمة وَهي من البسيط وَفي هذا المعنى أورد الرّاغب الأصبهانيّ في « محاضرات الأدباء » النّادرتين التّاليتين : « رؤي مُعلّم ينيك صبيًا قائمًا فقيل له : لِمَ لَمْ تُنمه ؟ فقال : وقع عليه الفعل فانتصَبَ. ورُؤي آخرُ على ظهر غلامٍ فقيل له : مَا تصنع ؟ قال : أردت أن أريه بابَ الفاعِل والمفعول، فقالوا : وَمَا هذا الذّي بينكما ؟ قال : حرف جاءَ لمَعْنَى. » (3/245)

(27) أبو تمّام (188 ـ 231 هـ) : أحد أمراء البيان. ولد بسورية واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدّمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي جريد الموصل، فلم يُتمّ سنتين حتّى توفّي بها. في شعره قوّة وجزالة. واختُلف في التّفصيل بينه وبين المتنبّي والبُحتري. من تصانيفه : « فحول الشّعراء » و« ديوان الحماسة » و« ونقائص جرير وَالأخطل ». (الأعلام 2/165).

وكنتُ أدعوكَ عبْد اللّه قبل فقد أصبحتُ أدعوكَ زيدًا غير محتشمِ
سمحتَ جودًا بما قد كنتَ تمنعه ما كلّ جُود الفتى يدْعو إلى الكرمِ

وله :

ما كان في المخْدع من أمْركُم فإنّه في المسْجد الجامع
يا طولَ فكْري فيك من حاملٍ صحيفةً مكْسُورة الطّابعِ

وأمّا قول ابْن المعتزّ (28) :

وجاءني في قميص اللّيْل مسْتتًرا، يستعجل الخطْو من خوفٍ ومن حَذرِ
فقُمْتُ (29) أفرش خدّي في الطّريق له ذلًا، وأسحبُ أذيالي على الأثرِ
وكان ما كان ممّا لستُ أذكُره، فظُنّ خيرًا ولا تسْأل عن الخبرِ (30)

فهو كناية عن التّصريح .

ومثْله لعبد الصّمد بن المعذّل (31) :

وإذا هبّت النفوسُ اشْتياقًا وتشهّى الخليلُ قُرب الخليلِ
كان ما كان بيننا لا أسمّيـ ـه ولكنّه شِفَاء الغليلِ

ولبعض أهْل العصر، والُمراد هو البيتُ الأخير :

صفحتُ لدهْري عن جميع هِناته وعَدّدت يومَ الباغِ أسْنَى هباتِه

(28) تقدمت ترجمته

(29) في الأصْل المطبوع « فَبِتُّ »، ولا يستقيم به المعْنَى، وَمَا أثبتناه من الدّيوان.

(30) هذه الأبيات من قصيدة بعنوان « ديْر عبْدون »، وجاء فيها قبل البيت الأخير ·

وَلاح ضوءُ هِلال، كاد يفضحُنا، مثل القُلامة قد قُدّت من الظُّفر

(31) عبد الصّمد بن المعذّل (توفّي سنة 240 هـ) من شعراء الدّولة العباسيّة. ولد ونشأ في البصرة. كان هَجّاءًا، شديد العارضة، سكّيرًا خمّيرًا.

وقابلتْ أشْجارًا هُناك بقدٍّ من تعطّل غصنُ البانِ عن حركاتِه
ويخجلُ وردُ الباغِ عِند طُلوعه ويعذله بالورد في وجناتِه
ويسجدُ نورُ الأقحوان لثغره ويقصرُ نشْرُ الورْدِ عن نفحاتِه
ولما دجى اللّيل اسْتعاد سنا الضّحى بوجْهٍ جميع الحسْن بعض صفاتِه
فيا لكَ من ليْلٍ رقيقٍ ظَلامُه بتأليف شمْلِ الأنس بعد شتاته

ومن رديء هذا الفصْل قول بعض الفُضلاء :

إنّــي إذا حــانَ سُكْري وكــان وقــتُ مقيلي
أدخلــتُ إصبــعَ بطْني فــي عيْــن ظهــر خَلِيلي

ومن جيّد الكِناية عن التّفخيذ (32) قول أبي نوّاس (33) :

وغــزالٍ تشــره النّفسُ إلــى حَــلِّ إزارهْ
بسَطتْــه ســورة النّــا س لنــا بعْــد ازْورَارهْ
فأطَفْنــا بحوالَيْــه ولــم نَعْــرض لِدَارهْ

(32) التّفخيذ . وضع الذّكر بين الفخذين، وَلا يكون مع ذلك إيلاج ومن جيّد ما أورده الرّاغب الاصبهانّي، في هذا المعْنَى، عن جراب الدّولة أنّ غلامًا « وافق رجلا إن أدخله بدرهمين وإن فاخذ بدرهم. فدفع له درهما وأدخله فيه، فتحاكما إلى القاضي، فقال الغلام : أيّها القاضي، أكريتُ هذا حمارًا على أنّه إن ذهب به إلى باب المدينة فعليه درهم، وإن أدخله المدينة فدرهمان، فدخل المدينة ولم يوفي الدّرهمين. فقال الرّجل : إنّي أتيت بالحمار إلى باب المدينة ولكنّه دخل بغير إذني فقال القاضي : زن الدّرهمين، فخير الأمور أوسطها. » (محاضرات الأدباء 3/250)

(33) تقدمت ترجمته.

فصل
في الكناية عن اللّواط وأهله

إذا كان الرّجل يقول بالغِلْمان دون النّسوان قيل : فلان يُؤْثر صيْد البّر على صيْد البحر. فلان يقـول بالـظّباء ولا يقول بالسّمك. وفلان يحبّ الحملان ويبغض النّعاج. قال أبو نوّاس :

إنّي امْرؤ أُبغضُ النّعاج وقد يعجبني من نتاجها الحَملُ (1)

وفُلان يميل إلى منْ لا يحيض ولا يبيضُ. (2) قال الشّاعر :

جعلتُ فداكَ ما اخترناك إلاّ لأنّك لا تحيضُ ولا تبيضُ
ولو مِلْنا إلى وصْل الغواني لضاقَ بنَسْلنا البلدُ العريضُ

---

(1) وتمام الأبيات كما في « أخبار أبي نوّاس » لابن منظور :

يعجبني الأمـرد الطّريـر أبصرتُه مخطفـا لـه كَفَـلُ
حتّـى إذا مَـا رأيـت لحيتـه فليس بينـي وبينـه عمَـلُ
إلاّ سليمـان إنّـه رَجُـل يحـلّ بينـي وبيـه القُبَـلُ

(2) وفي هذا المعْنى، جاء في « محاضرات الأدباء » (243/3) : « قيل لأبي مسلم صاحب الـدّولـة : مَا ألذّ العيش ؟ قال : طَعَام أهْبُر ومدام أصفرُ وَغلام أحْورُ؟ فقيل له : لم قدّمت الغلام على الجارية ؟ قال : لأنّه في الطّريق رفيق، وفي الاخوان نديم، وفي الخلوة أهل. وقيل لعافية القاضي . لم اخترتَ الغلامَ على الجارية ؟ فقال : لأنّه لا يحيض ولا يبيض.

وقال الشّاعر في معناه :

ومأمون يحمد الجله منـ ـهُ الطمْـث وَالحبَـلُ

وقـال بعضهم : الغـلامُ استـطاعة المعتزلة لأنّه يُصلح للضدّيْنِ، يفعل وَيُفعل بهِ، والمرأة استطاعة المجبرة لا تصلُح إلاّ لأحَدِ الصدّيْن »

وفلان يكتب في الظّهور، وفلان يحبّ الميم ويُبغض الصّاد.

وقد أساء ابنُ الرّومي (3) في قوله :

بغضي لصادٍ شهيّر، إنّي رجل أُصْفي المودّة مني للحواميمِ
وليس بغضي لقرآنٍ ولا مقْتي إيّاه للّه بل للصّاد والميمِ

وقال آخر :

لعجْمُ الصّاد أَرْضَى اللّه قدْمًا وعبد اللّه يعجمُ كلّ ميمِ

ويقال، فلان من العطّارين والعطار (4) كناية عن الكِنَاس (5) في كثير من البُلْدان. قال أبو اسحاق الصابي (6) في ذمّ اللّاطة :

لحاجةُ المرء في الأدبار إدبارُ والمائلون إلى الاحْراحِ أحرارُ
كم من نظيف ظريف بات ممتطيًا ظهرَ الغلام فأضحى وهو عطّارُ

فإذا كان يقـول بالمـرد (7) الجـرد (8) قيل شرْطه أهل الجنّة لأن النّبيّ ﴿ﷺ﴾ قال في وصفهم : جُرْد مُرْد مكْحُولون (9).

فإذا كان يقول بالصّغار دون الكبار قيل : فلان يؤثر السّخال على الكباش.

---

(3) تقدمت ترجمته.

(4) العطّار : بائع العطر، وحرفته العطارة.

(5) الكناس : مؤلج الوحش من الظّباء والبقر، وهو هنا بمعنى الكنيف.

(6) تقدمت ترجمته.

(7) الُمردُ : من المَرَد وهو نقاء الخدّين من الشّعر ونقاء الغصن من الورق. والأمرد : الحشاب الجذي بلغ خروج لحيته وطرّ شاربه ولم تبدُ لحيتُه.

(8) جرْد : واحد أجرد . لاشعر عليه، وَفي صفة أهل الجنّة جُردٌ مرْدٌ مُتكحّلون.

(9) مكحُولون : كذا في الأصل المطبوع، وفي اللّسان مُتكحّلون : من الكَحَل في العين وَهو أن يعْلُو منابت الأشفار سواد مثل الكُحْل من غير كَحْلٍ.

ويُرْوى أنّ حّماد عجرد (10) لما قعد لتأديب ولد العبّاس بن محمّد (11)، قال بشّار بن برد (12) :

قل للأمير جزاك اللّـه صالحةً   لا يجمع الدّهر بين السّخل (13) والذّيبِ
السّخـل غرٌّ وهمُّ الذّئـب غفلتُه   والذّئب يعلم ما بالسّخل من طيبِ

وقال أيضًا :

يـا أبا الفضـلِ لا تنم   وقَـعَ الذّئـبُ فـي الغنم
إنَّ حمّـــادَ عجردٍ   شيـخُ سـوْءِ قـد اغْتلم (14)
بيـن فخذيـــه حربة   فـي غـلافٍ مـن الأدم (15)
وهـو إن نـال فرصةً   مســحَ الميــمَ بالقلم

فلما شاعت الأبيات أمر العبّاس بإخْراج حّمادٍ.

ونظير هذه السّعاية قول أبي اسحاق الصّابي (16) في كتاب :

يا أبـا الفضل استمـعْ   قولَ امْـرىء يُصفيـكَ حبًّا
سـرّح غلمانـــك قـد   أصبحوا للسّرحـــان نهبًا

---

(10) تقدّمت ترجمته

(11) العبّاس بن محمّد (121 ـ 186 هـ) أخو السّفاح والمنصور. ولي دمشق وَبلاد الشامّ والجزيرة. ومَات ببغداد.

(12) بشّار بن برْد : تقدّمت ترجمته.

(13) السّخلة : ولد الشّاة من المعز والضّأن، ذكرًا كان أو أنثى والجمع سخْل وسِخَال وسُخْلان.

(14) إغتلم · من الغلمة : وهي شهوة الضِّراب. غلم الرّجل إذا هاجّ وَغَلب شهوة.

(15) الأدَمُ · الجِلْدُ

(16) تقدّمت ترجمته.

وكان لابن سكّرة الهاشميّ (17) غلام يسْتشرطه، فلمّا كبُر أخْرجه من داره، فقيل له في ذلك، فقال :

ما تركْناه وفيه لمحبٍّ من طبّاخِ
هَذَرَ الطّيرُ ومن عاداتنا أكلُ الفراخِ (18)

وإذا كان الرّجل يقول بالصّغار والكبار قيل، فلان يصْطاد ما بين الكُرْكيّ (19) إلى العندليب.

فإذا كان يقول بالزّنا واللّواط كلاهما قيل، فلان يَصيد الطّيْرين ويقبض الدّيوانين، وفلان قلم برأْسين ويُنْشد :

أيُّ دواةٍ لم يلقها قلمُه وأيُّ سطحٍ لم ينلْه سلّمهُ

فإذا كان يأتي ويؤْتى قيل، فلان لحافٌ ومَضْرَبة (20)، وفلان يذعن للقَصاصِ فطَوْرًا سقف وطورًا أرض.

فإذا كان يقول بحُسْن الوجه دون الجسامة قيل هو يقول بالدّنيا دون الآخرة.

[وإذا كان يقول] (21) بهما جميعا قيل هو يقول بالآخرة ولا ينسى نصيبه من الدّنيا.

فإذا جمع الغلام هاتين الصّفتين قيل هو دنيا وآخرة.

فإذا كان وسيمًا غير جسيم قيل هو منافق وقد تقدّم ذكره.

---

(17) ابن سكّرة الهاشميّ. (توفّي سنة 385 هـ) شاعر بغداديّ مشهور، متّسع الباع في أنواع الابداع، فائق في قول الطّرف والُملحِ على الفحول، جارٍ في ميدان السّخف وَالمجون.

(18) البيتان في اليتيمة وهما من مجزوء الرّمل.

(19) الكركيُّ : طائر كبير طويل العنق والسّاقين، أبتر الذّنب، يأوى إلى الماء أحْيانا.

(20) مضْربَة : صيغة مبالغة من ضَرِبَ بمعنى نُكِحَ.

(21) مَا بين حاصرتين أضفناه ليستقيم التّركيب.

فصل
في الكناية عن خروج اللّحية مدحًا وذمًا

كان أبو نواس يقول تزوّدوا من لذّة لا تُوجد في الجنّة يُكَنِّي عن اتْيان المخْتطّين (1) لأنّ أهل الجنّة جرْد مرْد كلهم.

وفي كتاب « لباب الآداب » : فلان قد غلّفتْه يدُ الحسن وقد أُحْرقت فضّة خدّه وطُرّز ديباج وجْهه.

ومن أحسن ما أُحاضَرُ به في الكناية عن خطّ اللّحية قول بعض المولّدين :

كتابٌ من الحسن توقيعه   من اللّه في خدّه قد نَزَل

وما أظرف ما كنّى عنه الصّاحب (2) بزغب الحسن في قوله :

هل زغبُ الحُسْن به ضَائرُ   والقمرُ التّمّ به يقمرُ ؟

---

(1) المُختطّين : إختطَ الغُلام، أي نبتَ عذارُهُ.

(2) تقدّمت ترجمته.

وأنشدني بديع الزّمان (3) لنفسه من أبيات :

كنْ كيف شئت فانّني قد صُغت قلبًا من حديدِ
وجلستُ أنتظرُ الكُسوفَ وليسَ ذلك بالبعيدِ

وإنّما كنّى بالكسوف عن خروج اللّحية، كما قال الآخر :

واهًا لبدْرٍ قد كسفَ أسفًا وهل يغْنِي الأسفُ ؟

ومن بديع الكناية وخفِيِّها في هذا الفصْل قول القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز (4) :

قد برحَ الحبُّ بمشتاقكا فأوْلِهِ أحسن أخلاقكا
لا تجفه وارْع له حقّه فإنّه آخرُ عشّاقكا

يُكَنّي عن قُرب خروج اللّحية أو خروجها وأنّه لا عاشق له بعْدَها.

---

(3) بديع الزّمان الهمذانيّ (358 ـ 398) أحد أئمّة الكتّاب له. مقامات أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها. كان قويّ الحافظة، يضرب المثل بحفظه. توفّي في هراة مسْمُومًا.

(4) أبو الحسن علي بن عبد العزيز : هو أبو الحسن الجرجاني، وقد تقدّمت ترجمته.

الباب الثالث

فصل

في الكناية عن بعض فضول الطعام وعن المكان المهيّأ له

في مقدمته :

قرأت في « المستنير » أنّ يحيى بن زياد (1) ومطيع بن إياس (2) وحمّاد عجرد (3) اجتمعوا في مجلس يقصفون ومعهم رجل كان ينادمهم، فخرجت منه ريح لها صوت، فاسْتحْيا ولم يعد إليهم، فكتب إليه أحدهم :

أمن قلوصٍ غدتْ لم يؤذها أحدُ ... إلّا تذكّرها بالرّمل أوطانا
خانَ العقالُ لها فانْبتّ إذ نعرتْ ... وإنّما الذّنب فيها للذّي خانا
منحتَنا منكَ هُجْرانًا وتقليةً ... وغبت عنّا ثلاثًا لستَ تغشانا

---

(1) يحيى بن زياد (توفّي سنة 160 هـ) . شاعر ماجن يُرمَى بالزّندقة. من أهل الكوفة. توفّي أيّام المهديّ.

(2) مُطيع بن إياس (توفّي سنة 166 هـ) . شاعر من مخضرمي الدّولتين الأمويّة والعبّاسيّة. كان ظريفًا، مليح النّادرة، مَاجنا، متّهما بالزّندقة. وُلد ونشأ في الكوفة، وتوفّي في البصرة.

(3) تقدّمت ترجمته.

خفِّض عليكَ فما في النّاس من أحدٍ إلاّ وأيْنقه يفلتنَ أحْيانا (4)

وعرض مثل ذلك لجارية تغنّي في مجلس فيه الجمّاز (5) فأحبّت أن تنظر ما عنده، فقالت : أيّ شيء تشتهي أن أُغنّيك ؟ فقال : غنّي :

يا ريحُ ما تصنعين بالدِّمن كم لكِ من محْو منظرٍ حسَنِ

فضحكت وعلمت أنّه قد أحسّ بذلك (6).

وعرض مثل ذلك لرجُل في مْجلس الصّاحب فاسْتحيا وانقطع منه فكتب إليه الصّاحب (7) :

يا ابنَ الخضيريّ لا تذْهب على خجل لحادثٍ [كان] (8) مثل الناي والعودِ
فانّها الرّيحُ لا تستطيع تحبسها إذْ لست أنت سُليمانَ بن داود (9)

---

(4) أورد الرّاغب الاصبهاني في محاصرات الأدباء (3/276) هذه الحكاية مع بيتين من الشّعر :

أمِن قلُوصٍ عدَتْ أظهرتْ مَقْلية وغبت عنّا زمانا لسْتَ تغشانا
خفّض عليكَ، فما في النّاس ذو إبلٍ إلاّ وأيْنقُه يشردن أحْيانًا

(5) تقدّمت ترجمته.

(6) وردت هذه الحكاية في « طبقات الشّعراء » لابْن المعتزّ كالتّالي « اِجتمع الجمّاز مع قوم يشربُون، وعندهم جارية تُغنّي فبينا هي في بعض أمرها إذ ضرطت ضرطة خفيفة لم يسمعها إلاّ الجمّاز، وكان قريب المجلس منها، فظنّت الجارية أنّه لم يسمعها، وأنّ أحدًا غيره لم يسمعها إن كان هو لم يسمعها، فقالت له لّما صار القدح إليه : أيّ صوتٍ تحبّ أن أغنّي لك يا أبا عبد اللّه ؟ فقال : غنّي : يا ريح مَا تصنعين بالدّمن. فضحكت الجارية وقالت : اكتُمْ عَنيٍّ. »

(7) تقدّمت ترجمته.

(8) في اليتيمة « مِنك »

(9) أورد الثّعالبي هذا الخبر في اليتيمة كالتّالي . « حدّثني الهمدانّي قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الخضيريّ، يحضر مجلس النّظر للصّاحب باللّيالي، فغلبته عيناه مرّة وخرج منه ريح لها صوْتٌ، فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصّاحب . أبلغوه عنّي، البيتين وهي =

وعرض مثل ذلك لفتى (10) في مْجلسه ليلاً فقال له الصّاحب : يا صبيّ لا تنم، فخجل، وقال : هذا صرير التّخت(11)، فقال الصّاحب : أحسب أن يكون صرير التّحت.

ومن مليح ما سمعت في هذه الكناية حكاية أبي عبد اللّه بن الحجّاج (12) وهـــي أنّــه دعا مغنّية كان يتعاشق لها فلمّا حصلت عنده ليْلاً ودارت الكؤوس نعس فتفرقع ظهره وهي قاعدة فغضبت وانصرفت فكتب إليها من الغد :

قد غَضبتْ [منّي](13) وقد انكرتْ فرقعـــــةً تعرضُ (14) في ظهري
وليسَ لـــي من ذنــب ولكنّني أصــرُ (15) باللّيل ولا أدري
فليــتَ شعـري وهـي غضّابـة من جحرهـا أضـرطُ أم جحــري ؟

= من البسيط. وذكر الرّاغب الاصبهانيّ هذه الحكاية في « محاضرات الأدباء » (276/3) إلاّ أنّه جعل اسم القاضي ابن دُوشاب، وذكر البيتين كما يلي :

قُل لابن دوشاب : لا تخرج على خجلٍ من ضرطة أشبهت نايا على عـود
فإنّها الرّيحُ لا تستطيع تحبسُهَا إذ أنت لست سليمان بـن داود

(10) هو الهمدانيّ صاحب الخبر السّابق

(11) التّخت : مقعد طويل لشخصين أو أكثر.

(12) تقدّمت ترجمته.

(13) في اليتيمة « سِتيّ ».

(14) في اليتيمة « تظهر ».

(15) في اليتيمة « أضرط ». والأبيات من السّريع

فصل
في عاقبة الأكل

قد كنّى اللّه تعالى عنها بقوله : ﴿ أَوْ جاء أحد منكم من الغائط ﴾ والغائط، المكان المطمئنّ من الأرض، وكانوا يأتُونه تستّرا وانْتباذًا ثمّ كثر ذلك في كلامهم حتّى سَمّوا الحدَث باسْمه واشتقّوا منه الفعل تغوّط.

ومن كنايات العامّة عن الحاجة إلى دخول الخلاء قولهم : له حاجة لا يقضيها غيره.

ومن لطائف الأطبّاء كنايتهم عن حشْو الأمعاء بالطّبيعة والبرازِ وعن سيلان الطّبيعة « الخلفة » وعن القيام لها « الاختلاف ».

ومنه، قول أبي العيناء (1) وقد سئل فقيل إلى من يُخْتلف فقال : إلى من يختلف عليه.

---

(1) أبو العيْناء (191 ـ 283 هـ) . أديب فصيح من طرفاء العالم ومن أحسن النّاس جوابًا إشتهر بنوادره ولطائفه وكان حسن الشّعر، مليح الكتابة والترسّل، حيث اللّسان في سبّ النّاس وَالتّعريض بهم وَكان ضريرًا. توفّي في البصرة

وقد تُكنّي الأطبّاء عن البول بالماء والدّليل وعن القيء بالتّعالج.

وقال بعض المفسرين في قول اللّه تعالى: ﴿ وكانا يأكلان الطعام ﴾ (2) وقولــه: ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾ (3). إنما هو كناية عن الحدث لأن من أكل فلا بدّ له من عاقبة الأكل ونفْض الفَضْل.

وقد عابهم الجاحظ (4) بهذا التّفسير وقال: كأنّهم لم يعْلموا أنّ مسّ الجوع وما ينال أهلَه من الذِّلّة والعجْز أدلّ دليل على أنّهم مْخلوقون حتّى يدّعوا على الكلام شيئا قد أغْناهم اللّه عنه.

وعلى ذكر التّفسير، فقد قال لي أبو النّصر محمّد بن عبد الجبّار القُتبيّ: سألني بعض أهل جُرجان عن تفسير قوله تعالى: ﴿ وقالوا ما لهذا الرّسول يأكل الطّعام ويمشي في الأسواق ﴾ (5). فقلت يعني أنّه ليس بمَلِك ولا مَلكَ وذلك أنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والملوك لا يتسوّقون ولا يتبذّلون (6)، فعجبوا أن يكون مثلُهم في الحال يمْتاز من بينهم في عُلوّ المحلّ والجلالة واللّه أعلم حيث يجعل رسالته.

وقرأت في كتاب «المستنير» أن أبا تّمام (7) والخثعمي (8) اجتمعا في

---

(2) سورة المائدة، الآية 43.

(3) سورة الفرقان، الآية 7.

(4) تقدّمت ترجمته.

(5) سورة الفرقان، الآية 7.

(6) تبدّل: إمتهن نفسه.

(7) تقدّمت ترجمته. وانظر الخبر في خاص الخاصّ.

(8) الخثعميّ: لم نهتد إلى ترجمته في مَا بين أيدينا من مصادر.

مجلس أنس فقام أبو تمام إلى الخلاء فقال له الخثعميّ : نُدخِلك (9) ؟ فقال : نعم وأخرجك، فتعجّب الحاضرون من هذا الابْتداء البديع والجواب العجيب السّريع.

وممّا يشبه هذه الحكاية ما حدّثنيه أبو نصر سهل بن المرزبان (10) فقال : دخل ابن مُكَرّم (11) إلى أبي العَيْناء (12) فسأله أن يُقيم عنده فقال ابن مكرم : أذهب وأتوضّأ. فقال أبو العَيْناء : إذا لا يعود إلينا منك شيء، أيْ لأنّه كلّه حدَثٌ.
ويُنْشد أصْحاب المعاني لأبي صعترة (13) :

هم منحوكَ طولَ اللّيل سقيًا خبيث الرّيح من خمر وماء

يُكَنّي عن أنهم ضربوه وهو سكران حتّى أحْدث.

وكان بِشْر المريسيّ (14) يقول إذا قيل له فلان قد وضع (15) كتابًا : الوضع وضعان، أحدهما له افتخار والآخر له بُخار، يريد قولَ القائلِ :

مررتُ بدارِها فوضعتُ فيها كجثمان القطاة له بخارُ

(9) كذا في الأصْل المطبوع، وَلعلّها « أدْخلك ».
(10) تقدّمت ترجمته.
(11) ابنُ مُكرّم، محمّد : كاتب بليغ مُترسّل، كتب لنصر الدّولة، وَكان يُهاتر أبا العيناء. وَذكر ابن النّديم أنّ له رسَائل، ولَم يؤرّخ وفاته. (أخلاق الوزيرين لأبي حيّان التّوحيدي. ص55).
(12) تقدّمت ترجمته.
(13) أبو صعترة : لم نقع على ترجمته في مَا بين أيدينا من مصادر.
(14) بشر المريسيّ (توفّي سنة 218 هـ) : فقيه معتزلّي عارف بالفلسفة، يُرمى بالزّندقة. وهو رأس الطّائفة « المريسيّة » القائلة بالارجاء، وإليه نسبتُها.
(15) وضع : ألّف وصَنّف.

وكتب بعض الظّرفاء إلى شارب دواء :

أبِنْ لي كيف أصبحتَ على حالٍ من الحالِ
وكَم سارَتْ بكَ النّاقةُ نحو المنزلِ الخالي

وكتب مؤلف الكتاب إلى المجلس العالي (16) آنسه اللّه في يوم أخذ فيه دواءً :

يا مالكًا حازَ أصْله الشّرفا فلم يَدعْ منه للورى طرفا
لما أخذتَ الدّواء والطّالع السّعد على العزم منك قد وقفا
صقلت سيف العلى وصفّيت تبْر السمجد والعيشُ منكَ صفا
لا زلت تحسو السّرور في مهلٍ وتنفض الهمّ والدّنفا (17)

والعرب تقول لا رأي لحاقن ولا لحاقِب. والحاقن، كناية عمّن به بول، والحاقب، كناية عن الذّي احْتاج إلى الخلاء فلم يتبرّز، شُبّه بالبعير. الحاقب الذّي دنا الحقب من قبله فمنعه أن يبول.

وقد مَلّح منصور الفقيه (18) في الكناية عن الحدث بقوله :

تنبّه فجسمك من نطفةٍ وأنتَ وعاء لما تعلم

---

(16) المجلس العالي : الأمير.

(17) الدّنف : السّقم والعلّة.

(18) منصُور الفقيه : فقيه من الشّعراء. سافر إلى بغداد في شبابه ومدح الخليفة المعتزّ، ثمّ سكن مصر وتوفّي بها سنة 306 هـ.



فصل

في الكناية عن المكان الذّي تقضي تلك الحاجة فيه

يُكَنّى عنه بالحشّ وهو البستان وبالْمسْتراح والمبْرز والمذْهب والمتوضّأ والميضَاء.

و أحسنُ ما سمعتُ في ذلك وأصْدقه قولُ أبي الفتح البُكْتُمري (1) :

أحقُّ بيتٍ من بُيوت الوَرَى   بصونـــه قدمًــا وإيثـاره

بيتُ إذا مازاره زائرٌ   فقــد قَضـى أعظـم أوطارِه (2)

يدخلُه المولى بخزٍّ (3) كما   يدخلـــه العبـــدُ بأطمارِه

وهو إذا ما كان مستنظفًا   مـرُوّة الانسان في داره (4)

وعلى ذكر الكنايات عن ذلك المكان، فقد عرضت لي (5) حكاية كتبها

---

(1) أبو الفتح البكْتُمريّ : طبيب من أهل البصرة، خدم بصناعته ملوك بني بويه، وكان شاعرًا اديبا. ترجم له القفطيّ وروى أبياتا من شعره. وجاء في حكاية أبي القاسم البغداديّ أنّه انتحر غرقا في كرداب كلواذى. (نشوار المحاضرة 3/213).

(2) الأوطار : الحاجات والغايات.

(3) الخزّ : ضرب فاخر من الحرير، والأطمار : الثّياب البالية.

(4) الأبيات في « يتيمة الدّهر » وَهي من السّريع (1/143)

(5) في الأصل المطبوع « إعْترضت »، وَما أثبتناه هو الصّواب.

إليَّ أبـو سعد دوست (6) باسناد له عن الزّبير بن بكّار (7) قال : حدّثني محمّد بن الوليد الزّبيري (8) قال : قدم رجل من بني هاشم المدينة ومعه جاريتان مغنّيتان فبلغه أنّ بهـا رجلا مضحكًا، فبعث اليه وأحضره وسقاه نبيذًا قد ألقى فيه سكّر العش وهو يُسْهل البطن، وتناوم الهاشميّ وغمز الجاريتين، فلمّا شرب المضْحِك ثلاثًا حرّكته بطنه فقال : ما أحسبهما إلاّ مكّيتـين، فقـال : جُعِلت فداكُـما أين بيتُ المـذهب ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها : ما الذّي يقول ؟ قالت : يقول غنيٍّ لي :

ذهبتُ من الهجران في غير مذْهبِ ولم يكُ حقًّا طولُ هذا التّجنّبِ

فصـــبر على مكـــروه عظيم ثمّ قال : ما أحْسبهـــا إلاّ بصريّتـــين، فقال : جُعِلت فداكما أين بيت الخلاء ؟ فقالت إحداهما للأخرى : ماذا يقول ؟ قالت : يقول غنّي :

أضْحتْ خلاء وأضحى أهْلُها احْتملوا أخْنى عليها الذّي أخْنى على لُبدِ

قال، فصبر على أمر عظيم وأظلم ما بين عينيه، فقال : ما أحسبهما إلاّ كوفيّتـين، فقـال : فُديتكـما، ألا تسمعـان، أين بيت الحشّ. فقـالت إحداهما للأخرى : ماذا يقول ؟ قالت : يقول غنّي :

أوحـــش الحنبـــذان فالديـــر منهـا فَقُراها فالمنـــزل المحصـــورُ

فقال المضحك : ما فهمتا عنّي. وصبر على أشدّ ما يكون وانْفتح بطنه

---

(6) تقدّمت ترجمته.

(7) الزّبير بن بكّار (172 ـ 256 هـ) : عالم بالأنساب وأخبار العرب، راوية. ولد في المدينة وولي قضاء مكّة فتوفّي فيها. من مصنّفاته « أخبار العرب وأيّامها » و« نسب قريش وأخبارها » و« وُفود النّعْمان على كسرى » و« أخبار عمر بن أبي ربيعة » (الأعلام 42/3)

(8) محمّد بن الوليد الزبيريّ : لم نقع له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر

وضـاقت حيلتـه، فقـال : هما البتّة مدَنيّتان، فقال : فُدِيتُكما أين بيت الكنيف ؟ فقالت إحداهما للأخرى : ماذا يقول ؟ قالت : يقول غنّي لي :

تكنّفـــي الهـــوى طفـــلا فشيّبنـــي ومـــا أكتهـــلا

فقال : يا زانيتان، أنا أخبركما ما هو. فقام دافعًا ثوبه وسلح عليهما وملأ المجلس، فانتبه الهاشميّ وقال : ويحك ما صنعت ؟ قال : أقْعدت معي هاتين الزّانيتين ما يحسبان الكنيف إلا الصّراط المستقيم، فهما تنفسان عليّ بأن تدلّاني عليه. قال : أَفتُفْسد عليَّ ثيابي ؟ فقال : واللّه ما أفسدْتَ عليَّ من بطني أشدّ ممّا أُفسِد عليك من مجلسك [9]

وأنا أختم هذا الفصل بخبر عن النبي «ﷺ» في الكناية عن الإحداث في الشّوارع وطُرق المارّة وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام : « اتّقوا الملاعن وأعدّوا النّبل ».

(9) ورد هذا الخبر في « مروج الذهب » للمسْعودي (332/4) وفي « الوافي بالوفيّات » (7/17) وفي « شرح مقامات الحريري للشريسي (208/4) مع اختلاف في اللّفظ وفي الأبيات المضمّنة في الخبر.

الباب الرابع

في الكناية عن المقابح والعاهات والمثالب

فصل

في القبح والسّواد

إذا كان الـرّجل قبيح الخِلقة مشوّه الصّورة قيل في الكناية عنه : له قرابات باليمَن لأنّ القرود تكْثُر بها .

ومن مليح الكناية عن القبح قول أبي نواس (1) :

وقائلةٍ لها في وجه (2) نصح: علامَ هجـرتَ (3) هـذا المستهاما ؟
فكانَ جوابُها في حسن مسّ: أأجمـعُ بيـن هـذا والحـراما ؟

---

(1) تقدّمت ترجمة أبي نوّاس. والبيتان في الدّيوان، 560، من قصيدة بعنوان : علام قتلت المستهام ؟

(2) وفيه : من.

(3) وفيه : قتلت.

وهذا كقولهم حشفًا وسُوء كيلة (4).

فإذا كان شديد الأُدْمَةُ (5) مع الدّمامة قيل، كأنّ وجهه قمر الثّلاثين.

ويُسْتحسن لنُصيْب (6) قوله في الكناية عن سواد بناته في كلام خاطب به عمر بن عبد العزيز (7): يا أمير المؤمنين قد بليت ببناتٍ لي أنفقتُ عليهنّ من ضيفي فكسدن فرقّ له ووصله. وفي نُصيب قيل:

أخ لي من بني حام بن نوحٍ   كأنّ جبينه حجر المقام

ويُحكى في قصّة طويلة لسُكَيْنة بنت الحسينِ بن عليّ (8) رضي اللّه عنهم لّما أمرت باخراج الفرزدق عن دارها وقالت: واللّه إنه لا يدخل عليّ حتّى يشيبَ الغراب، فتلطّف الفرزدق واحْتال وقال لنُصَيْب: هل لك أن

(4) الحشَفُ من التّمر: مالم يُنْو، فإذا يبس صلُبَ وفسد، لا طعم له ولا لحاء وَلا حلاوة، وَهو أردأ التّمر. وفي المثل: أحشفا وسُوء كَيْلة؟ أي أتَجْمع عليّ أن يكون الكيلُ حشفا وأن يكون الكيل مطفّفا. وقال اللّحياني: حشف وسوء كِيلَةٍ وَكيْل ومِكْيلةٍ

(5) الأدَمةُ: باطن الجلد الذّي يلي اللّحم والبشرة ظاهرهَا. والأُدْمَةُ: السُّمْرَةُ.

(6) نُصَيْب (توفّي سنة 108 هـ) شاعر فحل، مُقدّم في النّسيب وَالمدائح. كان عبدا أسود لراشد بن عبد العزّى من كنانة، من سكّان البادية. إشتراه عبد العزيز بن مروان وأعتقه له أخبار ذائعة مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم، تنسّك في آخر عمره. (الأعلام 32/8)

(7) عمر بن عبد العزيز (61 ـ 101 هـ) الخليفة الصّالح، وَالملك العادل. من ملوك الدّولة المروانيّة الأمويّة بالشّام. ولد ونشأ بالمدينة. وولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة 99 هـ. مات مسمومًا. (الأعلام 50/5)

(8) سُكَيْنة بنت الحسين (توفّيت سنة 117 هـ) بن عليّ بن أبي طالب: نبيلة شاعرة كريمة، من أجمل النّساء وأطيبهنّ نفسًا. كانت سيّدة نساء عصرها، تُجالس الأجلّة من قريش، وتجمع إليها الشّعراء فيجلسون بحيث تراهم ولا يرونها، فتُفاضل بينهم وَتناقشهم وتجيزهم. وَكانت أجمل النّساء شعرًا، تُصفّف جمّتها تصفيفا لم يُر أحسن منه، وَ« الطُرّة السُّكَيْنيّة » منسوبة إليها. (الأعلام 106/3)

تدخِلَني عليها وتأخذ صِلَتها (9) ؟ قال : نعم. فاستأذن الحاجب لنُصيْب فأذنت له. ودخل الفرزدق على إثره فلما رأته سُكَيْنة قالت : يا خبيث، قد خُنْتني. قال الفرزدق : يا سيّدتي، قد قلت حتّى يَشيبَ الغراب، وهذا والـلّه الغــراب قد شاب، أراد سواد وجْهــه وبياض شعــره. فقــال نصيب : قد علمت أنّه لا يُريد بي خيرًا. ثم كفّرت عن يمينها وأجْزلت صلتهما.

ولم يُكنّ أحد عن الممدوح الاسود بأحْسن وأبدع من كناية المتنبّي عن سواد كافور الإخشيديّ (10) بقوله :

فجاءَتْ بنَا إنْســانَ عَيْنِ زمانه   وخلّـتْ بياضًــا خلفهــا ومآقيا (11)

فإنّه جمع إلى حسن الكناية حسن التّشْبيه وجوْدة التّفصيل، وأبدع ما شاءَ.

---

(9) الصِّلة : الجائزة.

(10) كافـور الاخشيديّ (292 ـ 357 هـ) : الأمير المشهور، صاحب المتنبّي. كان عبدا حبشيّا إشتراه الاخشيديّ ملك مصر فنُسب إليه، وأعتقه فترقّى عنده، ثمّ ملك مصر. كان فطنا ذكيّا حسن السّياسة. وأخباره كثيرة. توفّي بالقاهرة.

(11) قال البرقوقي في شرح هذا البيت : « إنسان العين : ناظرها، وهو المثال الذّي يُروى في السّـواد والمآقي جمع مأق : طرف العين ممّا يلي الأنف، واللحاظ طرفها ممّا يلي الأذن. قال الواحدي : جعله (كافور) إنسان عين الزّمان كناية عن سواد لونه وأنّه هو المعنى المقصود من الدّهر وأبنائه وأن من سواه فضول لا حاجة بأحد إليهم. » (شرح ديوان المتنبّي 4/424)

فصل
في الثّقل والبْرد

حدّثني أبو جعفر محمّد بن موسى الُموسويّ قال : دخلت يومًا إلى الشّيخ أبي نصر بن أربد ببخارى وعنده علويّ مُبرم تأذّى بطول جلوسه وكثرة كلامه، فلما نهض قال لي أبو نصر : ابْن عمّك هٰذا خفيف على القلب. فقلت : نعم، مساعدًا له على رأيه. فتبسّم ضاحكًا من قولي، وقال لي : أراك لم تفطن للغرض. فما زلت أفكّر حتّى وقع لي أنّه أراد خفيفًا مقلوبًا وهو الثّقيل. وهذا المعنى أرادَ أبو سعد دُوسْت بقوله :

وأثقلُ من قد زارني وكأنّما تقلّب في أجْفان عيْني وفي قلْبي
فقلتُ له لما برِمتُ بقُرْبه أَراكَ على قلْبي خفيفًا على القلبِ

وكان النّاصر العلويّ الأطروش (1) إذا كلّمه الانسان فلم يسْمعه قال له : يا هذا، ارفع صوتك فإنّ بأذني بعض ما بروحك، يُكنّي عن الثّقل.

---

(1) النّاصر العلويّ الأطروش : شيخ الطالبيين وعالمهم وزاهدهم وأديبهم وشاعرهم، ملك بلاد الدّيلم وَالجبل، ولقّب بالنّاصر للحقّ وَجرت له حروب عظيمة مع السّامَانيّة. توفّي في طبرستان سنة 304 هـ. من مصنّفاته : « أنْسَابُ الأئمّة. » (الكنى وَالألقاب 232/3)

ونـظر بديع الـزّمـان (2) إلى إنســان بارد طويل فقال : قد أقبل ليلُ الشّتاء، فإنّه طويل بارد.

ودخل ابْن أبي أيّوب إلى ابن حَدّار (3) يعوده وقد اقْشعرّ فقال له : ما تجد فُدِيتك ؟ قال : أجِدُك، يُكَنِّي عن البْرد (4).

(2) المقصود بديع الزّمان الهمذانيّ.

(3) ذكر الحصري في « جمع الجواهر في الملح وَالنّوادر » أنّ اسمه « ابن جدار »، وهو كاتب العبّاس بن أحمد بن طولون، وكان قبل تعلّقه بالعبّاس يتكسّب بالشّعر، وكان بارد المتاهدة. »

(4) الخبر في « جمع الجواهر » على غير الوجه الـذّي ورد عليه عند الثّعالبي، بل هو عكسه تمامًا . « وكان ابن جدّار كاتب العبّاس بن أحمد بن طولون بارد المشاهدة، فعاد أبا حفصٍ ابن أبي أيّوب ابن أخت الـوزير، فوافـاه وَقـد أصـابتـه قشعـريرة. فقـال : مَا تجد ؟ جُعلتُ فداك ! قال : أجدك ! » (ص . 4)

فصل

في الكناية عن الدّاء الذّي لا لا دواء له إلاّ بمعصيّة اللّه

يقال : فلان يخبّأ العصا، (1) وفلان عصا موسى لأنّها تلْقفُ ما يأفكون (2)، وفـــلان يخبّأ العصا في الدّهليز الأقْصى .

وحدّثني أبو نصر سهل بن المرْزُبان قال : قال بعض بني هاشم لأبي العيْنـاء : بلغني أنّـك تخبأ العصا، فقال له : وتدَعُونها تظهر. وأنشدني الطّبري لنفسه في اللّحام (3) :

(1) انظر « محاضرات الأدباء » للرّاغب الاصبهاني، (254/3)

(2) إشارة إلى سورة الشّعراء، الآية 45 : « فألقى موسى عصاه فإذا هي تلْقف مَا يأفَكُون . »

(3) أبـو الحسن اللّحّام : ذكره الثّعالبي في اليتيمة (116/4) وَقال عنه : « من شياطين الإنس، ورياحين الأنس، وقع إلى بُخارى في أيّام الحميد، وبقي بها إلى آخر أيّام السّديد (. . .) يهجو وقلما يمدح، وكان غزير الحفظ، حسن المحاضرة (. . .)، خبث اللّسان، كثير المُلَح وَالغرر، لا يسلم أحد من الكبراء والوزراء وَالرّؤساء من هجائه، وَكان لا يهجو إلاّ الصّدور. »

رأيتُ اللّحّامَ في حلقه للشّعْر تطبيقًا (4) وتجنيسا (5)
نخوةُ فرعون ولكنّه جانس في حمل العصا موسى
وغشّ إبليسَ ولكنّه (6) خالفَ في السّجدة إبْليسا (7)

ويُقال فلانٌ ممّن يخرّ للأذقان. وهو أسجدُ من هُدْهدٍ، وفي ذلك يقول بعض العصْريّين:

أرسلتُ في وصف صديقٍ لنا ما حقّة الكنية (8) بالعسْجدِ
في الحُسْن طاووسٌ ولكنّه أسجدُ في الخُلْوة من هُدْهدِ

وفلان غرابٌ (9) لأنّه يُواري سوأة أخيه. قال منصور الفقيه:

إنّ في أمْر أحمد بن الطحّاو يّ وفي أمر عرسه لعجابا
طلّقت نفسها عشيّةَ زُفّتْ وأباحته خَمْرها والثّيابا (10)
قيل: ما باله؟ فقالت: غراب، هل شرطتم عليَّ بعلًا غرابا؟

ومن مُلح الصّاحب في هذه الكناية قوله، ويُروَى لغيره:

لـه قُـراحٌ فـي سراويلـه يزرعُ فيـه قصـب السّكّرِ

---

(4) تطبيقًا : من المطابقة : وهي الموافقة، طابقت بينْ الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحدٍ وألزمتهما

(5) تجنيسا : من المجانسة : وهي المشاكلة.

(6) في اليتيمة : قَرينُه إبْليس لكنّه ».

(7) الأبيات في « نزهة الألباب »، وفيها اختلاف مُخلّ بالمعْنَى (297).

(8) في « نزهة الألباب » : « ماحقّه يُكتب »

(9) في « نزهة الألباب » : « ويقولون : فلان أكْلأُ من غراب »، وكلأ يعني حرسَ وحفظ (297).

(10) في « نزهة الألباب » : و« أباحته مهرها وَالكتابا » (297)

وقولُه [11] :

قد حضَر الجامع مع رقةٍ أحدثها العالُم [12] في دينه
واللّه ما يحضره مسرعًا إلاّ ارْتياحًا لأساطينه [13]

وقوله :

شاهدتُه بالأمس قد حمل العصى فسألتُه عنها ليُوضح عذرا
فأجابني إنّي بها متشايخٌ[14] هذا، ولي فيها مآرب أخرى

وقوله :

واللّه ما اتّخذ الكتابة حِرْفةً إلاّ لحبِّ الدّرج [15] والأقلامِ

وأنشدني الأستاذ الطبريّ لنفسه من قصيدة :

وقالَ أنا المليك فقلت : حقًّا بقلب اللاّم نونًا في الهجاء
ولم أرَ من أداة الملك شيئًا لديك سوى احْتهالك لِلواء

وأنشدني أيضًا من أخرى :

فَلم تضْحَى[16] على الاسْلام سيفًا وأنت كما علمتُ من العمودِ

---

(11) البيتان نسبهما صاحب « نزهة الألباب » لابن الرّومي .

(12) في « نزهة الألباب » : « يعرفها العالم »، وفي رواية البيت التّاني إحتلاف يسير (298).

(13) الأسَاطين : جمع أسطوانة، وَهي السّارية .

(14) متشايخ · مُتكلّف هيئة الشّيخ .

(15) الدّرّج : صندوق تحفظ فيه لوازم الكتابة

(16) في الأصل المطبوع « تضحَ »، ولا معنى لها، وَما أثبتناه من « نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب » لشهاب الدّين أحمد التّيفاشي ص 298

ونزهدُ في الصّلاة وفي ذَويها [17] ولكن لست تزهدُ في السّجودِ

ويُروى أنّ الأحْوص [18] نظر إلى الفرزدق وهو على بغل فقال له : يا أبا فراس بغلك على خمس، فقال : الخامسة أحبُّ اليك. وكان الأحوص يُرْمى بالأبنة [19] .

ومن جيّد التّعريض بها قولُ عمرو بن بانة [20] :

أقولُ وقد مرّ عمرو بناً فسلّم تسليمةً خافيه

لئن تاه عمرو بفضل الغنى لقد فضّل اللّه بالعافيه

---

(17) في نفس المصدر « وتزدريها » بدل « وفي دويها »، وكلاهما يستقيم.

(18) الأحْوص (توفّي سنة 105 هـ) . شاعر هجّاء، صافي الدّيباجة، من طبقة جميل بن معمر ونُصيب. كان معاصرًا لجرير وَالفرزدق. وهو من سكّان المدينة جلده الوليد بن عبد الملك ونفاه إلى « دَهْلَك » وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أميّة ينفون إليها من يسخطون عليه. ثمّ أطلقه يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق فمات فيها. (الأعلام 4/116).

(19) الأُبْنَةُ : العقـدة في العود أو العصَا، أي العيبُ في الخشب والعُود وهي هنا المعنى التّهمة. والمأبون هُو الذّي يُرنّ بالعيب القبيح

(20) عمرو بن بانة : نُسب إلى أمّه بانة. كان مغنيا شاعرًا. أخذ الغناء عن اسحاق الموصلي وغيره. نادم المتوكّل ومات سنة 278 (الدّيارات للشّابشتي 43)

فصل
في الكناية عن البرص

كان جذيمة أبرص فكُنّي عنه بالوضّاح والأبرش (1)، ولما برص بلعًا بن قيس قيل له : ما هذا ؟ فقال : سيف اللّه جلّاه : ويُروى حلّاه بالحاء وتشديد اللّام .

ومّمن كنّى عن البرص بالوضح رجل من بني نهشل حيث قال :

نفرتْ سودة منّي إذ رأتْ صلَعَ الرّأس بجلدي والوضحْ(2)
هو زينٌ لي في الوجه كما زيّنَ الطّرفَ تحاسينُ الفرحْ

وقال ابن حسا (3) في الكناية عنه بالبياض :

---

(1) جذيمة الوضّاح (توفّي نحو 366 ق. هـ) : ثالث ملوك الدّولة التنّوخيّة في العراق. جاهلّي، عاش عمرًا طويلا. وكان أعزّ من سبقه من ملوك هذه الدّولة. وَهو أوّل من غزا بالجيوش المنظّمة وأوّل من عملت له المجانيق للحرب من ملوك العرب. وكان يُقال له « الوضّاح » و« الأبرش » لبرص فيه. قتلته الزّبّاء ثأرًا لأبيها. (الأعلام 2/114).

(2) الوضَحُ : بياض الصّبح والقمر وَالبَرصُ والغرّة والتّجحيل في القوائم وغير ذلك من الألوان.

(3) وَفي « محاضرات الأدباء (3/293) « ابن حينا »، ولم نقع له على ترجمة.

لا تحسبنّ بياضًا فيّ منقصةً إنّ اللّهاميمَ (4) في أقرانها بلقُ (5)

ولبعضهم :

أخو لخمٍ أعاركَ منه ثوبًا هنيئًا بالقميص لكَ الأجدّ

وأخو لخم هو جذيمة الأبرش وكان رجل أبْرص اليدِ يخضبها ليكون أخْفى لما بها، فسُئل غلامه عمّا يصنع، فقال : يداوي العاج بالمزاج.

(4) اللّهاميم : واحده اللُّهمُومُ : جواد سابق يجري أمام الخيل لالتهامه الأرض، الجواد من النّاس والخيل. وجيش لُهَامٌ : كثير يلتهم كلّ شيءٍ.

(5) بُلقٌ : من البلَق : وهو سواد وبياض

فصل
في الكناية عن عدّة عاهات

يُكَنّى عن الأعمى بالمحجوب، وفي ذلك يقول عثمان بن الوليد بن عتبة :

لعمري لئن أمست عليَّ عمايةٍ لقد رُزىء الأبْصارَ قبلي الأكارمُ
وقد عاش محجوبًا أميّـة وابنَه أبونا أبو عمرٍو وحربُ وهـاشمُ

ولّما أراد المتوكّل (1) أبا العيناء على منادمته قال له : يا أمير المؤمنين، أنا مْحجوب، والمحجوب يُجور قصدَه ويُقبل على من لا يُقْبل عليه، وكلّ من في مجلسك يخدم وأنا أحتاج أن أُخْدم فيه (2).

---

(1) المتوكّل : عاشر خلفاء بني العبّاس : دامت خلافته في سامرّاء من سنة 223 إلى 247. مَات مقتولا. وَكان مُبغضا للطالبيّين شديدًا عليهم، فأمر بهدم قبر الحسين بن علي ومنع على النّاس زيارته.

(2) هذه الحـادثـة جزء من حكـاية طويلة أوردهـا الحصري في « زهـر الآداب » (1/322، 323) برواية الصّولي، وَفيها اِختلاف ليس باليسير : « قال المتوكّـل : قد أردتك لمجالستي، قلتُ (أبو العيناء) : لاأطيق ذاك، وما أقول ذلك جهلا بما لي في هذا المجلس من الشّرف، ولكنّي محجوب، والمحجوب تختلف عليه الاشارة، ويخفى عليه الايماء، ويجوز أن يتكلّم بكـلام غضبـان ووجهـك راض أو بكـلام راضٍ ووجهك غضبان، ومتى لم أميّز بين هذين هلكت، قال : صدقت، ولكن تلزمُنا، قلت : لزومَ الفرض الواحب اللازم، فوصلني بعشرة آلاف درهم. »

ويُكَنّى عن الأعور بالُمَمَتّع (3) وعن الذّي في عينه نقطة بياضٍ بالكَوْكبيّ والمكَوْكب، وعمّن بوجهه أثر بالمشطّب.

وما أحسن ما كنّى عوف بنُ مُحلِّم (4) عن الصّمم بقوله :

إنّ الثمانيـــــن وبلغتهـــا، قد أحْوجَت سمعي إلى تُرْجمانْ (5)

---

(3) « شرح نهج البلاغة » (52/5).

(4) عوف بن محلم · (توفّي سنة 220 هـ) : أحد العلماء الأدباء الرّواة النّدماء الشّعراء. أصله من حرّان وانتقل إلى العراق فاختصّه طاهر بن الحسين لمنادمته، فبقي معه ثلاثين سنة لا يُفارقه. ومات طاهر فقرّبه ابنه عبد اللّه وجعل له منزلته عند أبيه. واستمرّ عوف في صحبته إلى أن كبر وتجاوز الثّمانين ومات في طريقه إلى حرّان (الأعلام 96/5)

(5) هذا البيت من قصيدة أوردها ابن المعتزّ في « طبقات الشّعراء » (187 ـ 188).

فصل
في البخل

يُكَنَّى عن البخيل بالمقتصِد، ويقال، فلان نظيف المطبخ، وفلان نقيّ القدر (1)
قال الشّاعر :

بيضُ المطابخِ لا تشكُو إماؤُهُم طبخ القدور ولا غسل المناديل

وقال آخر :

مطبخُ داود في نظافته أشبه شيء بعرش بلقيسِ (2)
ثيابُ طبّاخه إذا اتّسخت أنقى بياضًا من القراطيس

وقال أبو نواس :

رأيتُ قدورَ الناس سودًا من الصَّلى(3) وقدر الرَّقاشيّين بيْضاء كالبدرِ (4)

وقال الجمّاز لرجُل : رحم اللّه أباكَ فقد كان نظيف منديل الخوان . قال الأستاذ الطّبري :

---

(1) انظر « محاضرات الأدباء » للرّاغب الاصبهانيّ (4/662) .

(2) بِلْقيس بنت الهدْهاد بن شراحيل، من حِمْيَر : ملكة سبأ. يمانيّة من أهل مأرب. أُشيّر إليها في القرآن ولم يُسمّها وليت بعهد من أبيها وطمع فيها صاحب غمدان فزحف إليها، فانهزمت ورحلت متنكّرة إلى الأحْقاف. ثمّ قتلته وملكت اليمن بكامله. تزوّجت داود وأقامت معه سبع سنين وأشهرًا، وتوفّيت فدفنها داود بتدمر.

(3) للصَّلى : صلى اللّحم وغيره، شواه، والصَّلاء الشواء، والصّلى هنا كناية عن الطّبخ الكثير والوقود أو النّار.

(4) البيت في « محاضرات الأدباء » للرّاغب الاصبهانيّ مع بيتين آخرين (4/662)

فتى مُختصر المأكول والمشروب والعطر
نقيّ الخبز والقصعة والمنديلِ والقدرِ
قليلُ النّملِ والذبّانِ والجرْذان والهرِّ

وفي ذكر قلّة الجرذان تقول أعرابيّة لبعض الخلفاء : أشكو اليك قلّة الجرذان، فقال : ما أحسن هذه الكناية، لأُكْثرنّ جرذانكِ، وأمر لها بطعام كثير ومال (5).

ومن نادر الكناية عن البخل بالطّعام قول حمير (6) وقد سئل عمّن يحضر مائدة محمّد بن يحيى (7) فقال : أكْرمُ الخلق والأمُهم، يعني الملائكة والذّباب (8).

وليس بالبارد قول حمّاد عجْرد :

زرتُ امْرأ في بيته ماجدًا له حياءٌ وله خير
يكره أنْ يُتْخم أضيافه إنّ أذى التّخمة محذورُ

---

(5) جاءت هذه الحكاية في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (20/209) : « ومن الكنايات الحسنة قول أعرابيّة قالت لقيس بن سعد بن عبادة : أشكو إليك قلّة الجرذان في بيتي، فاستحسن منها ذلك وقال لأكثرنّها، إمْلئوا لها بيتها خبزا وتمْرًا وسمنا وأقِطا وَدقيقا. »

(6) حمّير : هو أبو الحارث حمير، ذكره الحصري في « جمع الجواهر في الملح وَالنّوادر » وأورد الكثير من أخباره، وَلم يُترجم له.

(7) محمّد بن يحيى البرمكي

(8) جاء هذا الخبر في « جمع الجواهر » : « وكان محمّد بن يحيى البرمكي يُبَخّل. ولم يكن بخيلا إلاّ بالاضافة إلى أخويه الفضل وَجعفر، وكان أبو الحارث حميْر يكثر وصفه بذلك، فقيل له يومًا : كيف مائدة محمّد ؟ فقال : أمّا جوانه فعدسة، وَأمّا صحافه فمنقورة من حتب الخشخاش، وبين الرّغيف والرّغيف فترة ،قيل : فمن يحضرها ؟ قال : أكرم الخلق وألأمهم، يريد الملائكة عليهم السّلام وَالذّباب. »

ويشتهي أن يُؤجَروا عنده بالصّوم، والصّائم مأجورُ (9)

ومن ذلك قول الآخر :

علـى أبوابـه من أيِّ وجـهٍ قصدت له أخو مُرِّ بن أدّ (10)

ومّما يُسْتحسن في هذا الباب قول ابن طَبَاطبَا العَلويّ :

وكاتب حاسبٌ إنْ رمتَ مُلْتمسًا ما في يديه إذا ما رُحْت مجتديه

أضاف تسعين تقفوها ثلاثتها إلى ثلاثة آلافٍ و تسعمائة

وقوله في هذه الكناية بعينها :

إن رمتُ ما في يديك مجتديًا أوْ جئتُ أشكو إليك ضيق يدي

عقـدتَ لي باليَســار أرْبعةً مقبوضةً سبْعة من العَددِ(11)

---

(9) الأبيات في « طبقات الشّعراء » لابن المعتزّ، وهي في هجاء بعض الأمويين.

(10) مرّ بن أدّ بن طانجة بن إلْياس بن مضر، من عدنان : جدّ جاهلّي، بنوه قبائل وبطون كثيرة، أعظمها تميم. (الأعلام 198/7).

(11) انظر بخصوص الحساب بعقد الأصابع « نشوار المحاضرة » للتنّوخي (1/104 ـ 107).

فصل

في الكناية عن جملة من المعائب والأخلاق المذمومة

إذا كان الرّجل جاهلاً قِيل:فلان من المُسْتريحين، لقولهم:اسْتراح من لا عقْلَ له.

فإذا كان سليم النّاحية [1] أبله قيل، فلان من أهل الجنّة لأنّ النبيّ ﷺ يقول: « أكثر أهل الجنّة البُلْه »[2].

فإذا كان أحمق قالوا:نعْتُه لا يَنْصرف.

وأنشدني أبو الحسن الشّهْرزُوري، قال: أنشدني أبو الحسن اللّحّام لنفسه في ابن مطران الشّاشي لما صُرِف عن بريد التّرمذيّة [3]:

قد صُرِفنا وكلّ [4] من قبلنا فهو منصرفُ
وصُرِفنا بشاعرٍ نعتُه ليسَ ينصرفُ

---

(1) سليمُ النّاحية : مسالمًا لا يقْصُد النّاسَ بشرّ، فهو من شدّة سذاجته كالأبله

(2) انظر لسان العرب (13/477)

(3) البيتان في يتيمة الدّهر، وقد قدّم لهما الثّعالبي بما يلي « وقوله (اللّحام) لما صُرف عن بريد التّرمذ بابن مطران » والبيتان من مجزوء الخفيف.

(4) في اليتيمة « وكلّ من كان قبلنا صُرِفَ ».

فإن كان فُضوليًا داخلاً فيما لا يعنيه، متكلّفًا ما لا يلزمه، قالوا هو وصيّ آدم (5). وقد تُوضع هذه الصّفة موضع المدح، كما قال الشّاعر:

وكأنّ آدم حين حُمّ حِمامُه   وصّاك وهو يجود بالحوباء(6)
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم   وكفيت آدم عَيْلَةَ الابناء(7)

فإذا كان وقحًا قالوا: هناك دُرْقة وحدقة ووجْنة مُطرّقة. وهذه اللّفظة للصّاحب من كتاب له إلى أبي العبّاس الضبيّ (8) في ذِكْر أبي الحسنْ الجوْهريّ الشّاعر. فإذا كان قليل الدّماغ قالوا: فلان فارغ الغُرفة. قال الشّاعر:

صاحبُنا أحْوالُه عاليةٌ   لكنّما غرفتُه خالية

فإذا كان كثير الطّيش قالوا: أحْضر معه وتدًا.

فإذا كان كذوبًا قالوا: الفاختة (9) عنده أبو ذرّ (10). وهذه اللّفظة عذبة من مُلَح الصّاحب ولم أسْمع في معْناها أحسن وأبلغ منها لأن الفاختة يضرب بها المثل. قال الشّاعر:

---

(5) « ثمار القلوب، ص 38.

(6) الحوْباء: النّفس، والجمع حَوْبَاواتٌ.

(7) ورد البيتان في الثّمار

(8) أبو العبّاس الضّبّي (توفّي سنة 398 هـ): وزير فخر الدّولة البويهي كان من العقلاء الفضلاء يُلقّب « الكافي الأوحد » له شعر رقيق. مات في بروجرد معتزلا الوزارة وحُمل منها فدفن في مشهد الحسين، بوصيّة منه. (الأعلام 1/86).

(9) الفاختة: وهو المعروف باليمام وهو طير يحيط بعنقه سواد، في حجم الحمام، لكنّه برّي قليل الألْفة.

(10) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (20/196) : « ويقولون [في الكناية عن الكذوب] : هُو فاختة البلد. »

أكـذبُ مـن فاختةٍ تقـولُ وسـط الكربِ
والطَّلع لـم يبدُ لها : هذا أوان الرُّطب (11)

وأبــو ذرّ الغِفَــاريّ(12) من يقـول فيه النّبيّ «ﷺ» : « ما أظلّـت الخضراء وما أقلّت الغبراء أصْدق لهجةٍ من أبي ذرّ ».

ومن كناياتهم عن الكذب : فلان يَلْطم عينِ مهْران. ومهران، رجل يضرب به المثل في الكَذب.

فإذا كان مَلُولاً قيل : فلان من بقيّة قوم موسى (13)، كما قال [الشّاعر]
أراكَ بقيّةً مـن قوم موسى فهـم لا يصبـرون عـلى طَعـام (14)

فإذا كان كثير التكلّف والبذخ قالوا : فلان يُكْثر الزّعفران، يشبّهونه بالقـدر المتكلّف لها، فإذا كان جميل المنظر ولا طائل عنده قالوا : فلان فالوذج (15) السّوق، قال ابن الحجّاج :

---

(11) البيتان في شرح النّهج. (196/20)

(12) أبو ذرّ الغِفاريّ (توفّي سنة 32 هـ) · من كبار الصّحابة، قديم الاسْلام، يُضرب به المثل في الصّدق. وهو أوّل من حيّا الرّسول بتحيّة الاسلام. هاجر بعد وفاة الرّسول إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفّي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق وَجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فشكاه معاوية إلى عثمان، فاستقدمه إلى المدينة، ثمّ نفاه إلى الرّبذة، فمات هناك. وَكان كريما لا يخزن من المال قليلا ولا كثيرا، وَلّما مات لم يكن في داره ما يُكفن به. وَلعلّه أوّل اشتراكيّ طاردته الحكومات. روى له البُخاري ومسلم 281 حديثا. (الأعلام 140/2)

(13) ثمار القلوب، ص 52.

(14) ورد البيت في الثّمار ضمن ثلاثة أبْياتٍ مسوبة لأبي نواس.

(15) فَالُوَذج : فارسيّة « بالوده ». حلوى تصنع من الدّقيق والماء و العسل، وتتخذ كذلك من السكّر و اللّوز وماء الورد. وانظر ثمار القلوب، ص 609.

وكم (16) صديقٍ يروقُ عيْني في قالب الحُسن (17) واللّباقة
ليس له في الجميلِ رأيٌ ولا بفعلِ الجميلَ (18) طاقة (19)
كأنّه في القميص يمشي فالوذجُ السّوق في رقاقة (20)

فإذا كان رديء الخطّ قالوا : فلان خطّه خطّ الملائكة(21)، لأن أجْود الخط أبْينه وأرداه على الضدّ، وخطّ الملائكة غير واضح للنّاس.

وسمعت أبا القاسم علي بن الحسن الطهمانّي الفقيه يقول : سمعت أبا محمّد يحيى بن محمد العلويّ يقول : إنما قيل ذلك لأنّ أردأ الخطّ الرّقم (22) وخطّ الملائكة رقم، كما قال اللّه تعالى : ﴿ كتابٌ مرقوم يشهده المقربون ﴾. (23)

فإذا كان لقيطًا لا يعرف له أب قالوا : هو من تربية القاضي (24)، ومن موالي النّبيّ ﴿ﷺ﴾ لأن القاضي يأمر بتربية اللّقطاء، والانفاق عليهم من

(16) الأبيات في « يتيمة الدّهر » للثّعالبي، وَفي روايتها إختلاف (3/115). وفيها « كمْ من » بدل « وكَمْ » .
(17) في اليتيمة : « بالشّكل والحُسْن »
(18) في اليتيمة : « ولا بفعل القبيح ».
(19) الطّاقة : القدرة
(20) رقاقه : جمع رقاق : وهي نوع من الخبز. وانظر الأبيات في الثّمار.
(21) ثمار القلوب، ص 63.
(22) الرّقم والتّرقيم : تعجيم الكتاب، ورقم الكتاب يرقُمه رقْما : أعجمه وبيّنه. وكتاب مرقوم أي قد بُيّنت حروفه بعلاماتها من التّنقيط.
(23) سورة المطفّفين، الآية 83، وقد وردت الفقرة بلفظها هذا في ثمار القلوب.
(24) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد : « ويكنون عن اللّقيط بتربية القاضي. » (207/20).

اللّقط على أعمال البّر والنّبيّ ﴿ﷺ﴾ يقول : « أنا مَوْلى من لا مَوْلى له » .
وهذا المعنى أرادَ أبو نوّاسٍ بقوله :

وجدنا الفضل أكرم من رقاشٍ (25) لأن الفضـلَ مـولاه الـرسولُ

ويحكى أنّ رجلاً يُتّهم بالدّعوة ، قال لأبي عبيدة (26) لما اتُّهم بكتاب « المثالب » :أتسبّ العرب جميعًا ؟ قال : وما يضرّك أنت من ذلك ؟ يعني أنه ليس منهم . فإذا ادّعى النّسب في هاشِم وهو دعيّ قالوا : هو ابن عمّ النّبي من الـدّلْدُل وهي بغلته ، قرابة ما بينها كقرابة ما بين النّبي وبين البغلة ، وفي ذلك يقول أبو سَعْد دُوسْت :

فديتك ما أنتَ من هاشمٍ وما أنتَ من أحمَدَ المرْسلِ
فإن قلتَ إنّي ابنُ عمٍّ النّبي فأنتَ ابْن عمٍّ من الدّلدلِ

وأملحُ ما سمعت في الكناية عن الدّعوة وكذِب النّسبة قول أبي الفتح كُشَاجم (27) :

شيخٌ لنا من مشايخ الكُوفة نسبتُـه فـي العـراق موصوفة

---

(25) رَقّاش بنت همدان أو رَقاش بنت ضبيعة ، وَكلتاهُما أُمّ جاهليّة ، وَلا ندري أيّها المقصودة (الأعلام 31/3) .

(26) أبو عبيدة (110 ـ 209 هـ) مَعْمَر بن المثنّى التّيمِيّ بالولاء ، البصريّ النّحويّ : من أئمّة العلم بالأدب واللّغة . مولده ووفاته بالبصرة استقدمه هارون الرّشيد إلى بغداد سنة 188 هـ ، وقـرأ عليه أشياء من كتبه . وكان إباضيًّا شعوبيًّا من حفّاظ الحديث . كان يُبغض العرب وصنّف في مثالبهم كتبـا له نحـو 200 مؤلّفٍ ، منهـا « المثـالب » و« طبقـات الفـرسـان » و« المحاضرات والمحاورات » . (الأعلام 272/7) .

(27) كُشاجم (توفّي سنة 360 هـ) أبو الفتح الرّملي ، المعروف بكشاجم . شاعر متقن ، أديب ، من كتّاب الانشاء . من أهل الرّملة بفلسطين فارسيّ الأصل ، تنقّل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد وَزار مصر أكثر من مرّة ، واستقرّ بحلب ، فكان من شعراء أبي الهيجاء عبد اللّه بن حمدان ، والد سيف الدّولة ، ثمّ ابنه من بعده من مصنّفاته : « أدب النّديم » و« المصايد

أيْ، مزوّرة لأنّ المزوّرة (28) موصوفة للعليل.

فإذا كان ملحدًا (29) قالوا: فلان حرّ وهو من الأحرار، ويُكْنون عن أنه خارج عن ربْقة الشّريعة.

وربّما كنّوا بالخرّاط إذا يقال لكلاب مكّة الخرّاطة لأنها تخرط قلائدها وغدرها، فكأنّ الملحد بلا دين كما أنّ كلاب مكة بلا غدر.

ولأبي دلف الخزرجيّ (30) قصيدة في محاكاة بني ساسان (31) ووصف طبقاتهم وفيها في ذِكْر مُلْحديهم:

رجالٌ فطنوا للنّقلِ والاعـــــلالِ والأمــــرِ
خليجيون مـــا حاضواْ ولا باتـوا علـى طهرِ

الخليجيّ الذّي لا يغسل اسْته، ما حاضوا أي، ما تطهّروا، رأوا من حكمه خرط القلادات مع الغدر. وأهل بغداد يقولون لمن ألحد فلان قد عبر، يعـنــون أنّــه قد عبر جسْر الاســـلام. وقـيل لبـعـضـهـم: هل

وَالمــطارد» وَ«حصــائص الـطّرب». ولفظ كُشاجم منحوت، فيما يُقـال، من علوم كان يُتقنها: الكاف للكتابة، والشّين للشّعر، والألف للانشاء، وَالجيم للحدل، وَالميم للمنطق. (الأعلام 168/7)

(28) المزوّرة: مرقة تضع للمريض خالية من الأدهان.

(29) الملحد: من ألْحد الشخص عن الحقّ: عدل عنه وأدخل فيه ما ليس منه. وألحد عن الدّين: مَال عنه وحاد وَطعن فيه: «إنّ الذّين يلحدون في آياتنا لا يخفوْن عليْنا.»

(30) أبو دُلَف: هي كنية القاسم بن عيسى، من بني عجل بن لجيم، أمير الكرخ وأحد الأمراء الأجواد الشّجعان الشّعراء. ولم نقع لأبي دلف الخزرجيّ على ترجمة في مَا بين أيدينا من مصادر. فلعلّ المقصود هو أبو دلف العجليّ، الذّي توفي ببغداد سنة 226 هـ. (الأعلام 179/5)

(31) بنو سَاسان: اسم يُطلق على جمهور المُكدّين.

عبرت ؟ فقال : ولدت في ذلك المكان، يُكَنّى عن أنّه لم يزل كذلك.

فإذا كان نذلاً خسيسًا قيل : هو ثامن أَصْحاب الكهف، لأن اللّه تعالى يقول في قصّتهم ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ (32)

فإذا كانوا في عداد البهائم والأنعام قالوا كما قال الشّاعر :

ألست من ذكرِ الذّي ذِكْره في سورة الجمعة والنّحلِ

يعني قول اللّه تعالى في سورة الجمعة : ﴿ كَمثَلِ الحمار يحمل أسفارًا ﴾ (33).

وفي سورة النّحل : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها ﴾ (34)

فإذا كان أكولاً نهمًا قالوا : فلان مُلْتهب المعدة، وكأنّ في أحشائه معاوية (35).

فإذا كان سيء الأدب في المؤاكلة قالوا : تسافر يده على الخوان ويرعى أرْضَ الجيران.

فإذا كان خفيف اليد في الطّر (36) والسّرقة قالوا، هو أحذّ يد القميص،

---

(32) سورة الكهف، الآية 22.

(33) سورة الجمعة، الآية 5.

(34) سورة النّحل، الآية 8.

(35) جاء في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (398/18) : « وَالعرب تُعيّر بكثرة الأكل، وتعيب بالجشع وَالشّره والنّهم، وقد كان فيهم قوم موصوفون بكثرة الأكل منهم معاوية. قال أبو الحسن المدائنيّ في « كتاب الأكلة ». كان يأكل في اليوم أربع أكلات أخراهُنّ عُظماهُنّ، ثمّ يتعشّى بعدهَا بثريدة عليها بصل كثير، وَدهن كثير قد شغلها. وَكان أكله فاحشا، يأكل فيلطّخ منديلين أو ثلاثة قبل أن يفرغ، وكان يأكل حتّى يستلقي ويقول : يا غلام، اِرْفع، فلأنّي واللّه مَا شبعتُ ولكنّي مَللت.

(36) الطّرُّ : الخَلْسُ.

ويد القميص هو الكمّ والسّارق يقصّ كمّه ويخفّفه ليكون أقدر على عمله.

قال الفرزدق في عمر بن هبيرة (37) :

أوليتَ العراق وساكنيه فزاريًا أحذّ يد القميص(38)

وقال أيضًا وهو من أبْيات المعاني :

أظنّك مفجوعًا بربْعِ مُنافق تلبّس أثوابَ الخيانة والغدرِ(39)

وإنما كنّى عن أنّ يمينه تُقْطع فيذهب ربع أطرافه.

فإذا كان غير نظيف البدن مغْفِلاً لتعهّده قالوا: فلان أظفاره حمأ(40) وإزاره مرْعَى. ومستجاد لأبي نوّاس قوله :

منَ ينأ عنه مصاده فمصادُ زنبور ثيابه

وللصّاحب :

وحوشُه ترتعُ في ثوبه وظفره يركب للصّيدِ

ومن كنايات العامّة في هذا المعنى قولهم : يعرض الجند.

---

(37) في الأصل المطبوع « عمر وبن هبيرة » والصّواب عمر بن هبيرة (توفّي سنة 110 هـ) : أبو المثنّى، أمير من الشّجعان والدّهاة. كان رجل أهل الشّام. وهو بدويّ أمّي. ولاّه عمر بن عبد العزيز الجزيرة، وغزا الرّوم فهزمهم وأسر منهم حلقا كثيرًا. ثمّ ولي العراق وَخراسان، وكانت إقامته في الكوفة. وهو القائل في الفرزدق : « مَا رأيت أشرف من الفرزدق، هجاني أميرًا ومدحني أسيرًا. » (الأعلام 5/68 ـ 69).

(38) البيت في الدّيوان وَفيه اختلاف (1/389) :

أأطعمت العراق ورافدَيْه فزاريًا أحَذّ يد القميص ؟

(39) البيت في الدّيوان (1/301)

(40) الحمأ. الطّين.

وقد أجاد سعيد بن حُميد في الكناية عن الصُّنان (41) بقوله لأبي هفان (42) :

أمسى يخوفني العبديّ صولته وكيف آمن بأس الضّيغم (43) الهصِر (44)
من ليس يُحْرزني من سيفه أجلي وليس يمنعني من كيدِه حذري
له سهامٌ بلا ريشٍ ولا عقبٍ وقوسُه أبدًا عطْل من الوترِ
فكيف آمن من ألقى له عرضًا وسهمه صائبٌ يخفى عن البصرِ

وسمعت بعض العجائز تكَنّي عن الصّنان برائحة الشّباب.

فإذا كان قوادًا قالوا : فلان يجمع شمل الأحْباب، وفلان يأتي الحبيب.

وقد يُكَنّى به أيضًا عن الرّقيب.

فإذا كان حاذقًا قالوا، فلان حاذق بالقيادة يجرّ أحدًا بشعرة ويؤلف ما بين الضبّ والنّون. (45).

فإذا كان إمّا حسن اللّبّةِ (46) وإمّا حسن الصّورة وليس وراءه حاصل ولا لديه طائل قالوا : ليس وراء عبادان قرْية. أنشدني الاستاذ الطّبري لنفسه في أبي سعْد دُوسْت بن ملّة الهرويّ :

---

(41) الصُّنان : رِيحُ الذّفَر.

(42) أبو هفّان المِهْزمي (توفيّ سنة 257 هـ) - راوية، عالم بالشّعر والأدب، من الشّعراء، من أهل البصرة سكن بغداد، وأخذ عن الأصمعيّ وغيره وكان متهتّكا، فقيرًا، يلبس مَا لا يكاد يستر جسده. من مُصنّفاته : « أخبار الشّعراء » و« صناعة الشّعر » و« أخبار أبي نوّاس » (الأعلام 4/65)

(43) الضّيعم : الذّي يعضّ، وهو الأسَدُ.

(44) الهصِر - الهَيْصَرُ هو الأسَدُ، وأسد هَصُور وهُصَرٌ يكْسُر ويُميلُ

(45) انظر محاضرات الأدباء (3/285).

(46) اللّبَّةُ : موضع الذّبح من العُنق

أبو سعدٍ له ثوبٌ مليحٌ ولكن حشو ذلك الثّوب خربة
فإن جاوزت كسوته اليه فليْس وراء عبادان قرية

فإذا كان لغير رَشَدة قالوا أبوه قَصير الحائط. قال الصّاحب من أبيات :
فمهد على نصبه عذره فحيطانُ دار أبيه قصار

فإذا كان به جُنّة قالوا : فلان مكْتوبُ القميص، لأنّ المجنون قد يُكتب على قميصه لا يباع ولا يوهب. وفي الكناية عن الكَشْحَان (47) يقول أبو سعد بن دُوسْت :
ومخالفٌ للحقِّ غير مخالفٍ للصّدق عبد تناظر وحجاجِ
ترك الحِجَاج إلى اللّجاج فقلت يا رجزَ الدّجاج ومنزل الحجاجِ

وسمعت أبا الفضل عبد اللّه بن أحمد الميكالي يقول. قال أبو عبيدة : العارضة كناية عن البذل. يقال : فلان شديد العارضة والاقتصاد، كناية عن البُخْل، فإذا قالوا : غلامك مُستعْص، فتلك كناية عن الجوْر. وقال شريح (48) : الحدّ كناية عن الجُهْد والمشقّة.

---

(47) الكشْحان : الدّيوث.

(48) شريح القاضي (توفّي سنة 78 هـ) : من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية واستعفى في أيّام الحجّاج فأعفاه سنة 77 هـ. وكان ثقة في الحديث، مأمونا في القضاء، له باع في الأدب والشّعر. وعمّر طويلا، ومات بالكوفة. (الأعلام 3/161)

فصل
في الكناية عن ذمّ الشّعراء والشّعر

إذا كان الرجل مُتَشاعرًا غيْر شاعر قالوا : فلان نبيّ الشّعر لأنّ اللّه تعالى يقول في نبّيه «ﷺ» : ﴿ وما علّمناه الشّعر وما ينبغي له ﴾ (1) قال مخلد الموصلي :

يا نبيَّ اللّه في الشّعـ ـر ويا عيسى بن مريمِ
أنـتَ من أشعـر خلـ ـقِ اللّـهِ ما لم تتكلّمِ

يعْنُون قول الشّاعر :

الشّعـراء فيمـا علمـنا أربعة : فشاعرٌ يُجري ولا يُجْرى معه
و شاعـرٌ ينشـد وسـط المجمعة(2) وشاعرٌ من حقّـه أن تَسْمعه
وشاعـرٌ مـن حقّه أن تصفعه

وإيّاه عنَى من قال :

يا رابعَ الشّعراء فيمَ هجوْتني أحسبتَ أنّي مفحَمٌ لا أنطقُ ؟

ولبعض أهل العصر :

قولا لشاعرنا الثّقيل الأول الـ مُرْبي بطلعتـه علـى الرّقباء
يا ثـانـي المـوت الزّؤام وثالث النّحْسين إنّك رابعَ الشّعـراء

---

(1) سورة يس، الآية 64.
(2) المَجْمعةُ : مجلس الاجتماع

فإذا كان بارد الشّعر قالوا : فلان من آلة الصّيْف. قال الجمّاز في أبي السِّمْط :

إنّ أبا السّمط فتى شاعرٌ وشِعرُه من آلة الحرِّ
طوبى لمن في الصّيف يُروى له خمسةُ أبياتٍ من الشّعرِ

وقال ابن زريق الكُوفيّ في شعر الصّولي :

داري بلا خيش ولكنني أعقدُ من خيشي طاقين
دارٌ إذا ما اشتدّ حرّي بها أنشدتُ للصّولي بيتين

وقال أحمد بن أبي طاهر (3) في الفتح بن خاقان (4)، وقد اعْتلّ من حرارة :

ما دواء الأمير فتح بن خاقا ن سوى شعرُ هذا الزّمانِ
ودواء الأميرِ أنْ ينشدوه بعض ما قاله أبُو هفّانِ

وقيل للعتّابي (5) : قد فُلج أبو مسلم الخلق، فقال : لعلّه أكل من شعره.

---

3) أحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور المتوفّي سنة 280 هـ) : مؤرّخ من الكتّاب البلغاء الرّواة. أصله من مروالرّوذ، ومولده ووفاته ببغداد. كان مؤدّب أطفال. له نحو خمسين كتابا منها : تاريخ بغداد » و« المنثور وَالمنظوم » طُبعت قطعة منه بعنوان « بلاغات النّساء ». وَله شعر قليل. (الأعلام 141/1).

(4) الفتح بن خاقان (توفّي سنة 247 هـ) : أديب شاعر فصيح، كان في نهاية الفطنة والذّكاء. فارسيّ الأصل، من أبناء الملوك. اتّخذه المتوكّل العبّاسيّ أخاله، واستوزه وجعل له إمارة الشّامّ على أن يُنيب عنه. اِجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. من مُصنّفاته : « إختلاف الملوك » وَكتاب « الصّيد وَالجوارح » وَكتاب « الرّوضة وَالزّهر ». وقُتل مع المتوكّل. (الأعلام 133/5)

(5) العتّابي (توفّي سنة 220 هـ) : كاتب، حسن التّرسّل، وشاعر مجيد يسلك طريقة النّابغة. يتّصل نسبه بعمر وبن كلثوم الشّاعر. وهو من أهل الشامّ وسكن بغداد، فمدح هارون =

واجتمع قوم من الشّعراء على فالوذجة حارّة فقال أحدهم للآخر منهم : كأنّها مكانك من النّار، فقال : يصلحه بيت من شعرك.

وقيل للأستاذ الطّبري : شِعْر فلان كالماء، قال : نعم، ولكن كماء البئر في الصّيف، وإنّما أخذه من قول ابْن الرّومي :

أنت عندي كماء بئرك في الصّيف ثقيل يعلوه بَرْد شديدُ

وأنشدني أبو الحسن الحميريّ (6) لنفسه في الكناية عن شعر رديء غير سائر :

لنا صديقٌ شِعْره داجنٌ لا يألف الأسْفار والغُربة
لكنّني أسْمعه راعيًا لحقّه في قِدَم الصُّحْبَة

= الرّشيد وآخرين. ورمي بالزّندقة فطلبه الرّشيد فهرب إلى اليمن، ثمّ أمّنه الرّشيد فعاد واختصّ بالبرامكة. من مُصنّفاته : « فنون الحكم » و« الآداب » و« الأجواد » و« الألفاظ ». (الأعلام 5/231).

(6) لم نقع له على ترجمة، وهو غير أبو الحارث جُمير الذّي مرّ ذكره.

فصل
في السّؤال والكُدْية

أوّل من كنّى عن السُّؤال بالزوّار خالد بن برمك (1)، وكان عبد اللّه بن شريك النّميري صار اليه في جماعة من أهل البيوتات يستميحونه، وكان الـزوّار يُسمّون السُّؤال، فقال خالد : أنا واللّه أستقبح لهم هذا الاسم وفيهم الأشراف والأجـواد، ولكنّـا نسمّيهم الـزوّار. فقـال له عبد اللّه : واللّه ما أدري أميرتنا منك أجل أم صِلتنا أم تسميتنا ؟ وقال في ذلك يزيد بن خالد الكوفي المعروف بابن حَبيبات :

حـذا خالدٌ في جوده حذو برمكٍ فمجـدٌ لـه مستطرفٌ وأثيلُ
وكان بنو الاعْدام (2) يُعْزون قبله إلى اسمٍ على الإعـدام فيـه دليلُ
يُسَمّـونَ بالسُّؤال في كلّ موطنٍ و إنْ كان فيهُـم نابـهٌ وجليلُ
فسمّاهـم الـزوّار سـترًا عليهمُ وذلـك مـن فعلِ الكِـرام نبيلُ

وذكر الصّولي هذا الخبر لغير خالد باسناد له أنّ المساور بن النّعمان لما ولي كور فارس أتـاه النّاس، فقيل له : قد اجتمع سُؤّالك، فقال : ما أقبح هذا من اسم، هؤلاء الزوّار، فسُمّوا به من ذلك اليوم . وفيه يقول

---

(1) خالـد بن برمـك (90 ـ 163 هـ) : أبو البرامكة، وأوّل من تمكّن منهم في دولة بني العبّـاس. ولاّه السفّاح ديوان الخراج وديوان الجند وحلّ منه محلّ الوزير. وقلّده المنصور بلاد فارس، ثمّ عزله ونكبه. ورضي عنه بعد ذلك وأمّره على الموصل. مات في ولاية المهديّ وكان سخيّا سريًا، فيه نبل (الأعلام 2/295) .

(2) الاعدام : الفقر والخصاصة .

زياد الأعجم (3) :

إن المساور أعطى في عطيته   سُؤّالـه أحسن الأسْماء للبشرِ
كانوا يُسَمّون سؤّالاً فصيّرهم   دون البريّة زوّارًا ولم يُجرِ

ويقال : فلان من أصحاب الجراب والمحْراب، وفلان من قرّاء سورة يوسف لأن قُرّاء السُؤّال يستكثرون من قراءتها في الأسواق والمجامع والجوامع لأنها أحسن القصص.

قال محمد بن وهْب :

لئن كنت للأشعار والنحو حافظًا   لقد كنتُ من قرّاء سورة يوسف

ويقال : فلان خليفة الخَضِر (4) إذا كان جوّالاً في الأسفار جوّابًا للبلاد في الكدية.

وقد يُوصف بهذه الكناية من تكثر نهضاته وتتّصل حركاته وإن كان لغير الاسْتماحة. ورؤي بعضهم يسأل في قرية، فقيل له : ما تصنع ؟ فقال : ما صنع موسى والخَضِر، يعني أنّهما اسْتطعما أهل القرية.

---

(3) زياد الأعجم (توفّي نحو 100 هـ) : من شعراء الدّولة الأمويّة. جزل الشّعر فصيح الألفاظ، وكانت في لسانه عُجمة فلقّب بالأعجم. ولد ونشأ في أصفهان، وانتقل إلى خراسان وسكنها ومات فيها. وكان هجّاءًا. وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وهجاء بخلائهم. وكان الفرزدق يتحاشى أن يهجو بني عبد القيس (وزياد مولاهم) خوفا منه. (الأعلام 54/3)

(4) الخَضِر · هو في المعتقد المسيحيّ ايليا بن إلْياس، وفي المعتقد الاسلامي صاحب موسى، الذي ورد ذكره في القرآن الكريم سورة الكهف في سياق حكاية موسى مع غلامه : « فوجدا عبْدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا، وعلّمناه من لَدُنّا علمًا. »، وهو مدار اهتمام المتصوفة، باعتباره صديقا معمّرًا قادرًا على الظّهور بأشكال مختلفة، وفي أماكن مُتغايرة (المعجم العربي الأساسي 402). وانظر ثمار القلوب، ص 53.

وحدّثني نصر بن سهل بن المرزبان، قال : ولد لأبي العيناء ابن فأتاه أبو علي البصير مهنّئًا له فقال : أيّ وقت فارق أمّه ؟ فقال : وقت الصّبح عند ضرب الدّبادب، فقال أبو علي : أرجو أن يُعرّفك اللّه بركته فما أخطأ وقته، يريد أن السُّؤال إنّما ينْتشرون في ذلك الوقت للكدية.

ويقال، سأل رجل بعض المتجمّلين (5) فقال له المسؤول : باطننا كظاهرك والبستان كلّه كرفس (6)، يعني أنه كهوفي الخصاصة والحاجة إلى السّؤال.

وكتب بعض البلغاء في اقْتضاء ميرة لرجل : فلان مقيم على انتظار جوابه وثمرة إيجابه، يُكَنِّي عن الصّلة بثمْرة الايجاب، وأحْسن جدّا.

وقلت، أنا في الكتاب «المبهج» : من جلب دُرّ الكلام حلب دَرّ الكرم.

---

(5) المتجمّل : المحتاج يتظاهر بالكفاف تعفّفا من السّؤال.

(6) الكرْفس : عشب من فصيلة الخيميّات، يزرع كنبات طبيّ، كما تؤكل ضلوع أوراقه أو جذوره خضرًا أو مطبوخة.

فصل
في الكناية من الفقر وسوء الحال

يقال : فلان قد لبس شعار الصّالحين أيّ افتقر.

ويقال : فلان رقّت حاشية حاله ، وداره تحكي فؤاد أمّ موسى ، ويقرأ سورة الطّارق ، أي ليس يُرى فيها سوى السّماء والنّجوم .

ويقال : جاءنا فلان في قميص قد أكل عليه الدّهر وشرب ، وجبّة تقرأ إذا السّماء انشقّت.

وفلان وِطاؤه الغبراء وغطاؤه الخضراء إذا كان لا يسْتتر من اللّه بشيء.

ودخل أبو الحسن محمّد بن عبد اللّه المعروف بابن سُكّرة حمّام موسى ببغداد فسُرقت نعله فقال :

تكانَفتِ (1) اللصوصُ عليه حتّى ليحْفى من يسلُمْ به ويعرا
ولم أفقد به ثوبًا ولكن دخلت محمدًا وخرجت بشرا

يْعني بشرًا الحافي (2).

---

(1) تكانفت : اِجتمعت وتعاضدت .

(2) بشر الحافي (150 ـ 227) · من كبار الصّالحين. له في الزّهد وَالورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث ، من أهل مرو، سكن بغداد وتوفّي بها. قال المأمون لم يبق في هذه الكورة أحد يُستحيى منه غير هذا الشّيخ بشر بن الحارث (الحافي) (الأعلام 2/ 54) .

فصل
في الكناية عن الصّفع

كان أبـو هفّـان يقول : أنا لا أمزح إلاّ باليدين والوالدين يُكَنّي عن الصّفع والشّتم. ومن أبلغ ما سمعت في الكناية عن الصّفع قول اسماعيل السّبحي في أبي نواس :

ولمـا تصـدّى لأعراضنا ولـم يـكُ فـي عرضـه منتقمْ
كتبنـا الهجاء على أخدعيْه(1) بمـزدوجٍ مـن أكـفٍّ الخدمْ

ومما أسْتظرف قول ابن لنكك(2) في أبي رياش(3) :

---

(1) الأخدعان : واحِده الأخدع، عرقان خفيّان في موضع الحجامة من العنق، وربّما وقعت الشّرطة على أحدهما فنزف صاحبه لأنّ الأخدع شعبة من الوريد.

(2) ابن لنْكـك (توفّي نحو 360 هـ) شاعر، وصفه الثّعالبي بفرد البصرة وصدر أدبائها. وقـال : أكثـر شعـره مُلح وطُرف، جلّها في شكوى الزّمان وأهله وهجاء شعراء عصره، وهو صاحب البيت المعروف :

نعيب زمَاننا، والعيب فينَا ولو نطق الزّمان إذا هجانا.

له ديوان شعر إطّلع عليه الثّعالبي وأورد منه مختارات. وكان معاصرًا للمتنبّي وهجاه. (الأعلام 20/7)

(3) أبُو رياش اليماميّ : ذكر ياقوت الحموي في ترجمة ابن لنكك « أنّ التقدّم كان في زمنه (ابن لنكك) لأبي الطيّب المتنبّي وأبي رياش اليَماميّ ، فكسدت بضاعته بنفاق سوقهما (. . .) ، فولع بثلبهما والتشفّي بهجوهما وذمّهما. فمن هجائه لأبي رياش قوله :

نُبّئت أنّ أبا رياش قـد حَوى علـم اللّغـات وفـاق فيمـا يدّعي
من مُخبري عنه ؟ فانّـي سائـل من كـان حنكـه بأيـر الأصمعي ؟

(معجـــم الأدبـــاء 9/19)

أصابعه من الحلواء صفرٌ ولكنّ الاخادع منه حمرُ

وقوله :

لم أقبِّلْ فاه لكن قبّلتْ كفّي قَفاهُ

وأستحسن قول منصور الفقيه :

يا مَنْ يراني والبريّةُ كلّها في العلم دُونه
صنْ ما تُزْرِ عليه طوْ قك إن بدا لكَ أن تَصُونه

وأستجيد ما أنْشدنيه أبو بكر الخوارزمي لِبعضهم في إنسان وقح صفعان :

سلاحه في وجْهه وماله في هَامتهْ
فكلُّ ما يملكه يُجمع في عمامتهْ

وما ألطف قول السّري المَوْصلي في الكناية عن الصّفع :

قومٌ إذا حضر الملوكُ وُفودَهم نُفضت عمائمهم على الأبواب

ولم يُر في هذا المعنى أملح مما أنشدنيه أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان لابن سُكّرة في ابن قُرَيْعة (4) :

---

(4) ابن قُرَيْعَة (302 ـ 367 هـ) : قاص من أهل بغداد، إشتهر بسرعة البديهة في الجواب عن جميع ما يُسْأل عنه. ودُوّنت « أجوبته » في كتاب أقبل النّاس على تداوله، وفيها الظّريف المضحك. وكان مختصًا بالوزير أبي محمّد المُهلبي، ونادم عزّ الدّولة بن بويه، فكان لا يُفارقه. وولي قضاء « السّنديّة » وغيرها من أعمال بغداد. (الأعلام 6/190).

رأيــتُ قلنســوةً تستغيثُ ومن فوقِ رأسٍ تُنادي خُذوني
وقد قلقتْ فهي طورًا تميلُ من عن شمالٍ ومن عن يَمينِ
فقلتُ لها ما الذي قد دَهاكِ فقالــتْ مقـالَ كئيبٍ حزينِ
دهاني أنْ لسْت من قالبي وأخْشى من النّاس أنْ يُنكِروني
وأن يأخذوا في مزاحٍ معي وإنْ فعلوا ذاك بي قطّعوني

فصل
في الكناية عن الصّناعات الدّنيّة

سُئل الشّعبي (1) عن رجل خطب امْرأة فقال : إنّه لينّ الجلسة، نافذ الطّعنة، فزُوّج، فإذا هو خيّاط.

وحَكى الجاحظ عن النّظّام (2) أنه كان يُكْني عن الحائك بأخْصر البطن، يعني أنّ الخسف (3) قد خصر (4) بطنه.

وسئل حجّام عن صناعته، فقال : أنا أكتب بالحديد وأختم بالزّجاج.

ومن أحسن ما سمعت في هذه الكناية ما يحكى أنّ الفرزدق دخل على بلال بن أبي بردة (5) وهو في ذمّ مضر ومدْح اليمن، فقال الفرزدق : إنّ

---

(1) الشّعبيُّ (19 ـ 103 هـ) راوية من التّابعين، يُضرب المثل بحفظه ولد ونشأ وَمات بالكوفة اتّصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الرّوم. وهو من رجال الحديث الثقات. اِستقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها شاعرًا (الأعلام 3/251)

(2) النّظّام (توفّي سنه 231 هـ) من أئمّة المعتزلة تبحّر في علوم الفلسفة واطّلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين والهيين، وانفرد بآراء خاصّة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سُمّيت «النّظاميّة» نسبة إليه وقد ألّفت كتب خاصّة للردّ على النظام وَفيها تكفير له وتضليل. (الأعلام 1/43)

(3) الخَسْفُ : الُهزال وَالذلّ

(4) خُصِر : اِسْتدقّ وضمُرَ وَغَار.

(5) بلال بن أبي بردة (توفّي سنة 126 هـ) : أمير البصرة وقاضيها. كان راوية فصيحا أديبا ولاّه خالد القسريّ سنة 109 هـ، فأقام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثّقفيّ فعزله وحبسه، فمات

فضل اليمن لا يُدْفع، سيّما الواحدة التّي بان بها أبو موسى (6)، فقال بلال : إنّ فضائل أبي موسى كثيرة فأيّها تعني ؟ فقال [. . .] (7) بنفسه عن رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ حين غلبه دمه، يعني أنّه كان حجمه في بعْض أسفاره، فقال بلال : أجل قد فعل ذلك برسول اللّه، ولم يفعل بأحد قبله ولا بعده ؟ فقال الفرزدق : إنّ الشّيخ كان أتقى للّه وأعلم به من أن يُقدم على نبيّه بغير حذق. فسكت بلال وحقدها على الفرزدق وعُدّت في جوابات الفرزدق المُسْكِتة.

ومن نادر ما كُنّي به عن الحجام ومشهوره قول عتبة الأعْور لابراهيم بن سيّار (8) :

يابنَ الذي عاش غير مضطهدٍ(9) [يرْحَمُه] (10) اللّه أيّما رجلِ
له رقابُ الملوك خاضعةٌ [ما بين حافٍ مِنهُمْ ومُنْتعلِ](11)

سجينا. كان ثقة في الحديث، ولم تحمد سيرته في القضاء. وكان يقول : إنّ الرّجلين ليختصمان إليّ فأجد أحدهما أخفّ على قلبي، فأقضي له. وهو ممدوح ذي الرمّة الشّاعر. (الأعلام 2/ 72)

(6) أبو موسى الأشعريّ (21 ق. هـ - 44 هـ) : صحابيّ من الشّجعان الفاتحين، وأحد الحكمين اللّذين رضي بهما معاوية وعلي بعد حرب صفّين. ولي البصرة في عهد عمر وعزله عثمان فانتقل إلى الكوفة فكان أميرها إلى أن قتلَ عثمان، فأقرّه عليّ. وكان من رأيه القعود في الفتنة، فعزله عليّ. وتوفّي بالكوفة. له 355 حديثا. (الأعلام 4/ 144)

(7) نقص في الأصل المطبوع.

(8) في « جمع الجواهر في الملح والنّوادر » للحُصري « ابن سيابة »، أمّا ابراهيم بن سيّار فهو اسم أبي إسحاق النّظّام.

(9) في « جمع الجواهر » : « مُهْتضمِ ».

(10) في الأصل المطبوع « يرحمك »، وَمَا أثبتناه من « جمع الجواهر » وَهو ما يقتضيه السّياق.

(11) في الأصل المطبوع « من بين حاف ومُنتعل »، وفي خلل، وَمَا أثبتناه من « جمع الجواهر ».

أبـوك أوهى النّجادُ (12) عاتقه كم من كمي (13) أدمى ومن بطلِ
يأخـذ من مالـه ومـن دمه لم يُمْسِ من ثائرٍ (14) على وجلِ
بكفِّـه (15) مرهـف يقلبه يقطع (16) أعناق سَادةٍ نُبلِ

وأخذ الطّائف (17) بالكوفة رجلًا فقال له من أنت فأنشد :

أنا ابنُ الّذي لا ينزلُ الدّهرَ قِدْرُه وإن نزلـت يومًا فسوفَ تعودُ
ترى النّاس أفواجًا إلى باب داره إذا ما مضى وفـدُ أتتـه وفودُ(18)

فخلّى عنه حسبه ابن بعض الأشراف، فإذا هو ابن باقلاني (19).

وأنشدني أبو الفضل الميكالي لأبي بكر العلاّف في الزّجاجي النّحْويّ (20)

لـكَ ودٌّ قـد جبرنـاه فـأعيانـا صدوعه
فإذا ودّك ممّـا كنـت بالأمـس تبيعه

---

(12) النّجاد : ما وقع على العاتق من حمائل السّيف.

(13) الكميّ : الشّجاع المتكمّي في سلاحه لأنّه كمى نفسه، أي سترها بالدّرع والبيضة، والجمع كُماة.

(14) في « جمع الجواهر » : « دَائِرٍ »

(15) في « جمع الجواهر » : « كفّه »

(16) في « جمع الجواهر » : « يَقُدُّ »

(17) الطّائف : عسيس اللّيل.

(18) البيتان في « جمع الجواهر »، وفي رواية البيت الثّاني اخْتلاف :

ترى الناس أفواجًا إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقُعـودُ

(19) انظر الخبر بكامله في « جمع الجواهر »، 239.

(20) الزجّاجي (توفّي سنة 337 هـ) : شيخ العربيّة في عصره. ولد في نهاوند ونشأ في بغداد وسكن دمشق وتوفّي في طبريّة. من مُصنّفاته : « الجمل الكبرى » و« الايضاح في علل النّحو » و« مجالس العلماء ». (الأعلام 3/ 299)

الباب الخامس

في الكناية عن المرض والشّيْب والكبر والموْت

فصل
في المرض

هذا الفصل مقصور على ألفاظ البُلغاء من أهْل العصر في الكناية عن المرض يقع في فصُول هذا الباب.

فمنها، قولهم [جّمشه] (1) الزّمان وهو من قول أبي الطّيب المتنبّي لسيف الدّولة:

[يُجمّشُك] (2) الزّمان هوى وحُبًّا   وقد يؤذى من المقة (3) الحبيبُ (4)

---

(1) في الأصل المطبوع « خمشه » وَمَا أثبتناه هو الصّواب استنادا إلى ما ورد في الشّاهد الشّعريّ

(2) في الأصل المطبوع « تخمّشك »، ومَا أثبتناه من ديوان المتنبّي بشرح عبد الرّحمن البرقوقي والتّجميش شبه المغازلة والملاعبة بين الحبيبين. قال أبو العبّاس ثعلب · قيل للمغارلة تحميش من الجمش وهو الكلام الخفيّ.

(3) المقة : المحبّة وأصلها ومَق.

(4) البيت من قصيدة قالها المتنبّي في سيف الدّولة وقد اشتكى من دُمّل، ومَعْناه « إنّ الّذي ألَم بك إنّما هو تجميش من الزّمان لحبّه إيّاك وتعلّقه بك لأنّك جماله وأمثل أهله، وقد يكون الحبّ سببا لايذاء المحبوب. » (شرح ديوان المتنبّي لعبد الرّحمن البرقوقي 1/201)

ومنها: قولهم عرضت له فَتْرةٌ أصابت عُوده، اشْتكى الكَرمُ لشكايته، عرض له ما يجعله اللّه تمحيصًا لا تنغيصًا، وتذْكيرًا لا نكيرًا، وأدبًا لا غضبًا، عرض له ما يمحو ذنوبه ويُكفِّر سيئاته.

وكَنّى الصاحب عن الجرب بقوله لأبي العلاء الأسديّ من أبياتٍ:

أبا العلاء مليكُ (5) الهزل والجدِّ كيف النّجوم التّي تطلعن في الجلدِ (6)

وسمعت الأستاذ الطّبري يقول في ذكر مريض شارف التّلف: قد اخْتلف إليه رُسل أبي يحيى (7).

وكتب أبو منصور الشّيرازيّ في ذكر اشْتداد علّة بعض الرّؤساء: طالع الكرم يترجّح نجمه بين الإضاءة والأفول وتميل شمسه بين الاشراق والغُروب.

(5) في اليتيمة «هِلالُ».

(6) في اليتيمة «للجدّ». والبيت من البسيط.

(7) أبو يحْيى: كنية الموت.

فصل
في كنايتهم عن الشّيب

أقبل ليلُه، نورُ غصْن شبابه، ذرّت يدُ الدّهر كافورًا على مِسْكه، [فُضِّضَ] (1) أنبوبه، [لَجَّ] (2) الأقحوان (3) في بنفسجه (4).

وأحسن هذا كلّه قول اللّه عزّ اسْمُه : ﴿ وجاءكم النذير ﴾ (5)

ويُنشد أصحاب المعاني قول بعض العرب :

ولما رأيتُ النّسرَ عزّ ابن دأية وعشّش في وكْريه جاشت له صدري

وللنّسر كناية عن الشّيب وابن دأية الغراب، وكنّى به عن الشّباب.

---

(1) لا وجود لمادّة « فصص » في القاموس، وَالشّيء المفضّض . أي المموّه بالفضّة أو المرصّع، وهذا المعنى يليق بالمقام.

(2) لا وجود لمادّة « لاج » في القاموس، ولعلّ المقصود هو لجَّ : وتمادى في الأمر أو ولج بمعنى دخل وغشى وتفشّى، وكلاهما يصلح للمقام.

(3) الأُقحوان : نبات زهره أبيض أو أصفر، وهو هُنا كناية عن الشّيْب

(4) البنفسج : جنس أزهار شذيّة الرّائحة.

(5) سورة فاطر، الآية 37.

فصل
في كنايتهم عن الاكتهال

استبدل بالأدهم [1] الأبلق [2] وبالغراب العقعق [3]، ارتاض بلجام الدّهر، نفض غبرة الصّبا ولبى داعية الحجَى [4]، تجلّل ملابس أهل العقول، أدرك زمان الحنكة.

---

(1) الأدهم : الحالك السّواد.
(2) الأبْلق : من البلق وهو البياض الذّي يخالطه سواد.
(3) العقعق : طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذّنب، وهو من نوع الغربان.
(4) الحجى : العقْل.

فصل
في كنايتهم عن الشّيخوخة

والكـبر والهرم ومشارفة الموت : قد فُسح له في المهل، قد تضاعفت عقود عمره، تناهت به السنّ، قد صحّت الأيّام الحالية (1)، فلان شمس العصر على القَصْر، قد بلغ ساحِل الحياة، ووقف على ثنّية الوداع وأشرف على دار المُقَام، وكاد يَلْحق باللّطيف الخبير (2).

ولما سقطت ثنيّة (3) معاوية (4) في الطّست اشتدّ جزعه فقال له أبو الأعْور السُّلمي : خفّض (5) عليك يا أمير المؤمنين، فوالله ما بلغ أحدٌ سنّك إلاّ نقَض بعضَه بعضًا (6).

---

(1) كذا في الأصل المطبوع، ولعلّها « الخالية »

(2) نهج شرح البلاغة (48/5).

(3) ثنيّة : واحدة الثّنايا من السّنّ، الثّنيّة من الأضراس أوّل مَا في الفم. وثنايا الانسان في فمه الأربع التّي في مقدّم فيه : ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.

(4) معاوية بن أبي سفيان (20 ق. هـ - 60 هـ) : مؤسّس الدّولة الأمويّة في الشامّ، وأحد دهاة العرب المتميّزين الكبار. كان فصيحا حليما وقوراً أسلم يوم فتح مكّة وكان من كتّاب الرّسول. شقّ عصا الطّاعة إثر مقتل عثمان بن عفّان، وكان والي الشام من قبله، فنشبت حروب انتهت باستلائه على الخلافة بعد مقتل عليّ وتنازل ابنه الحسن ومات في دمشق له 130 حديثا اتّفق البخاري ومسلم على أربعة منها (الأعلام 262/7)

(5) خفّض عليك : هوّن عليك.

(6) وشبيه بهذا ما أورده الجاحظ في « البيان والتّبيين » (270/2) : « دخل رجل على معاوية. وقد سقطت [بعض] أسنانه فقال : يا أمير المؤمنين إنّ الأعضاء يرث بعضها بعضا، فالحمد لله الذّي جعلك وارثها ولم يجعلها وارثتك. »

فصل
في الكناية عن الموت

استأثر اللّه به ، أسعده اللّه بجواره، نقله اللّه إلى دار رضوانه ومحلّ غفرانه ، كُتبتْ له سعادة المحتضر وأفضت به إلى الأمر المنتظر، أختار اللّه له النُّقْلة من دار البوار إلى محلّ الأبْرار، وأنا أستحسن قول المُرقّش الأكبر(1) :

ليسَ على طول الحياة من ندم ومن وراء المرء ما يعلمِ

وحدّثني أبو نصر سهل بن المرزبان قال : دخل ابن مُكرّم إلى أبي العيناء عائدًا، فقال له : إرْتفع فديتك، قال : رفعك اللّه إليه، أي أماته .

وتولّع رجل ببعض الظّرفاء فقال له : رأيتك تحتي، قال : مع ثلاثة مثلي، يعْني في رفع جنازته .

وسمعت بعض الحكماء يقول في الكناية عن موت صديق له : قد استكْمل فلان حدّ الانسان، لأنّ حدّ الانسان أنه حيّ ناطق، وكثيرًا ما يُكنّون عن القبر بالتّربة والمضْجع والمرقد والمشْهد .

---

(1) المرقّش الأكبر (توفّي نحو سنة 75 ق. هـ) : شاعر جاهلّي، من المتيّمين الشّجعان. عشق ابنة عمّ له اسْمها « أسماء » وقال فيها شعرا كثيرا. وكان يُحس الكتابة. وشعره من الطّبقة الأولى، ضاع أكثره إتّصل مدّة بالحارث أبي شمر الغسّاني ونادمه ومدحه. واتّخذه الحارث كاتبا له. وتزوّجت عشيقته برجل من بني مراد، فمرض المرقّش زمنا، ثمّ قصدها فمات في حبّها. (الأعلام 5/ 95)

فصل
في الكناية عن القتل

صُلي بحَـرّ المنـاصل (1) قبل حر النار، وسقى الأرض من دمه بطلّ ووابـل، عُدم برد الحياة، وذاق حرّ المرهفات، أروى منه غُلّة السّيف، وأحسن من هذا كلّه قول اللّه تعالى : ﴿ فوكزه موسى فقضى عليه ﴾ (2) أي قتله.

وحدّثني أبو النّصر محمّد بن عبد الجبّار (3) قال : كان وزير الوقت سلّم بعض أفـاضـل العُـمّال إلى ابْن أبي البغْـل عنـد نهوضه إلى رأس عَمله بالأهواز، وأمره بتصريفه من أعماله فيما يسْتصلحُه له ليجبر به خلَلَ حاله، فاستعمله على بعض أموال بيت المال، ثمّ قتله تحت المطالبة بما جمعه حُكْم الاستيفاء عليه، وخاف من درك الانتقام من جنايته على وديعة من لزمه شكـر صنيعته، فأفضى [به] (4) الفكر إلى تمحّل ما يخرجه من عهدة بادرته ويُحلّه من ربقة جنايته، فلم يجد لذلك معْنى مُحِيلا ولا لفظًا يكُون على المـراد دَليلا. وطلب من يفصـح عَنْـه بالمعـذرة ويوجب له سبب

---

(1) المناصِلُ : واحدها المُنْصُل وَالمُنصَل : السّيفُ.

(2) سورة القصص، الآية 15.

(3) محمّد بن عبد الجبّار (توفّي سنة 427 هـ) · مؤرّخ من الكتّاب الشّعراء. أصله مس الريّ نشـأ في خراسان وولي نيابتها. ثمّ استوطن نيسابور. وانتهت إليه رياسة الانشاء في خراسان والعـراق، ونـاب عن شمس المعـالي قابـوس بن وشكمـير في خراسـان إلى أن توفّي من مصنّفاته : « لطائف الكتّاب » في الأدب و« اليميني » في التّاريخ. (الأعلام 6/184 ـ 185)

(4) مَا بين الحاصرتين زدناه ليستقيم التّركيب

الانْفصال من تبعة تلك المُعَاملة على شريطة حَايٍعظم خَطرهُ، ويظهر في سدّ خصاصته الحال أثره (5)، إلى أن دُلّ على شيخ من أرباب الصّناعة قد أقعدته المحنة وأكْسدته العُطْلة، فدعاه واستنشأه كتابًا إلى الوزير في مُهمّاتٍ من وجُوه المعاملات.

ومن حديث القتل في ضمن الكلام، فقال له: اكْتُب عذرًا لهذا (6) المعنى، فكتب: أمّـا فلان، فإنّ الوزير رسم باستعماله فلمّا [استعمله إستحْونه فأدّبه فوافق، الأدب الأجل] (7)، فتعجّب ابْن أبي البَغْل (8) من قدرته وسرعة فطنته وقوّة خاطره على اسْتخلاصه ما للّفظ الوجيز والمعْنى المُحيل عن عُهْدة جنايته، ووصله بمَالٍ جزيل وشغله بعمل جليل.

---

(5) كذا في الأصـل المطبـوع، وَفي التّركيب خلل ظاهر، ولعلّ الصّواب « وَيظهر في سدّ خصاصة الحال أثرهُ ».

(6) كذا في الأصل المطبوع، ولعلّ الصّواب « بهذا »

(7) في الأصل المطبوع « استعملته استحويته فأدّيته فوافق الأدب الأجل » ولا معْنى له، ومَا أثبتناه هُو الصّواب إستنادًا إلى السّياق.

(8) أبو الحسين محمّد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل: من رجال الدّولة العبّاسيّة. كان عاملا على أصبهان ورغب في الوزارة، وتوسّطت له أمّ موسى القهرمانة، وأحسّ الخاقانيّ الوزير بذلك فقبض عليه، واستنقذته أمّ موسَى فأعيد إلى أصبهان. ولّما قُبض على أمّ موسَى، صرف من عمله وصودر أوّلا وثانيا واعتقل. وَكان في خشية القتل لّما ورد الخبر بعزل الوزير ابن الفرات. (نشوار المحاضرة للتنوحي 2/152)

قال مؤلّف الكتاب : أظنّ الشّيخ ألمّ في معْنى ما كتبه بتوقيع لعبد اللّه ابن طاهر (9) فزاد في تحسينه ولطّف تهْذيبه، وقد كان عبد اللّه ضرب بعض قُوّاده ضربًا مبرحًا فمات منه فرُفع خبره اليه، فوقّع : ضَربْناه لذنْبه فمات لأجَله.

(9) عبد اللّه بن طاهر، الخزاعيّ بالولاء (182 ـ 230 هـ) : أمير خراسان، ومن أشهر الولاّة في العصر العبّاسي. ولي إمرة الشامّ مدّة ثمّ نقل إلى مصر ومنها إلى الدّينور، ثمّ ولاّه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته، واستمرّ فيها إلى أن توفّي بمرو. وكان من أكثر النّاس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشّعراء فيه مرات كثيرة. (الأعلام 4/93 ـ 94)

الباب السّادس

في ما يُوجبُه الوقت والحال من الكنَاية عن الطّعام والشّراب وما يتّصل بهما

فصل
في الأطعمة وما يتعلّق بها

دخل الشّعبي إلى صديق له، فعَرض عليه الطّعام وقال : أي التّحفتين أحبّ اليك، تحفة مريم أم تحفة إبراهيم (1)؟ فقال : أمّا تُحفة إبراهيم فعهدي بها السّاعة، فأخرج اليه سلّة رطب. وإنّما كنّى عن اللّحم لأنّ في قصّته عليه الصّلاة والسّلام (2) ﴿ فما لبث أنْ جاء بعجلٍ حنيذ ﴾ (3). وكنّى بتُحفة مريم عن الرُّطب لأنّ في قصّتها : ﴿ وهُزّي اليك بجِذع النّخلة تساقط عليك رطبًا جنّيا ﴾ (4).

---

(1) ثمار القلوب، ص 44

(2) المقصود ابراهيم.

(3) سورة هود، الآية 69.

(4) سورة مريم، الآية 25

وسمعتُ أبا سعْد أحمد بن محمّد بن ملّة الهرويّ يقول : اِجْتاز المبّرد بسداب الورّاق وهو على باب داره، فقام اليه وسأله أن يَسُرّه بدخول منزله ومساعدته على مَا حضرَ، فقال له المبّرد : ما عندك ؟ فقال : يا سيّدي، عندي أنْتَ وعليه أنا، يعْني اللّحم المبّرد وعليه السّداب (5) فضحك منه وأجَابَهُ.

وسمعت أبـا الفضْل عبيد الله بن أحمد الميكاليّ يقول : قال أعرابيّ لامْرأته : أين بلغت قِدْركم ؟ فقالت : قدْ قام خطيبُها، تُكَنّي عن الغَلَيان.

وقيل للجمّاز : أيّ البقول أحبّ إليْك ؟ فقال : بقلة الذّئب (6)، يعني اللّحْم.

ودخل إليَّ يومًا بعضُ الظّرفاء من الفقهاء فطاولني الحديثَ ثمّ قال لي ما قبل قوله تعالى : ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ (7). فقلت آتنا غداءنا، قال : فاعمل عليه، فاستظرفت هذه النّادرة، وأمرت بتقديم ما يتناوله.

وكان الطّبري يقول : إذا رأيتَ النّديم يقترح أنْ تُغنّي هذا البيت :

خليلــيّ داويتُمـــا ظاهرًا فمن ذا يداوي جوًى (8) باطنا

فاعْلم أنّه جائع يريد أن يطعم.

---

(5) كذا في الأصل، ولم نعثر لها على تفسير.

(6) ثمار القلوب، ص 388

(7) سورة الكهف، الآية 62.

(8) الجوى : الدّاء

قال، ولهذا قصّة. وهي أن رجلاً دخل دعوة وبه جُوع شديد، فسأله المُـطْرب عن المقْترحَ من الغناء فاقْترح هذا البيت، ففطنت لمراده جاريةُ صاحب المنزل؛ وقالت لمولاها : أطْعم الرّجل فإنّه جائع.

وقيل لبعضهم : أيّ الجـوارشـات أحبّ إليك ؟ فقـال : جوارش(9) الحنطة، يعْني الخبز.

وللصّوفية كنايات عن الأطعمة (10) اسْتظرفتُ منها قولهم للحمل الشّهيد ابن الشّهيد، وللقطائف (11)قبُور الشّهداء، وللفالَوْذَج خاتمة الخبر، وللأرزّ بالسّكر الشّيخ الطبريّ بالطّيلسان العَسْكريّ، وللّوْزينج أصابع الحور.

وكان الجاحظ يأكل يومًا مع محمّد بن عبد الملك الزيّات (12)، فجيء بفالوذجة فتولّع محمّد بالجاحظ، وأمَر أنْ يُجعل من جهته مارق من الجام (13)، فأســرع في الأكل حتّى نظّف ما بين يديه، فقال محمّد : يا أبا عثمان، قد تقشّعت سماؤك قبل سماء النّاس، فقال : أصْلحك اللّه، لأنّ غيمها كان رقيقًا.

---

(9) الجوارشات : ما لم يحْكم سحْقه ولم يُطْرح على النّار بشرط تقطيعه رقاقا، من الشّعير والبّر وغيره.

(10) انظر بهذا الخصوص ثمار القلوب، ص 174، مادّة : « أكل الصّوفيّ ».

(11) القطائف : طعام يُسوّى من الدّقيق المُرَقّ بالماء، شبّهت بخمل القطائف التي تفترش

(12) محمّد بن عبد الملك الزيّات (173 ـ 233 هـ) : وزير المعتصم والواثق العبّاسيين، وعالم باللّغـة والأدب، من بلغاء الكتّاب والشّعراء. نشأ في بيت تجارة ونبغ، فتقدّم حتّى بلغ رتبة الوزارة. وعوّل عليه المعتصم في مهامّ دولته. وكذلك ابنه الواثق ولّما مات الواثق، عمل ابن الـزّيات على تولية ابنـه وحرمان المتوكّل، فلم يُفلح. وولي المتوكّل فنكبه وعذّبه إلى أن مات ببغداد وكان من العقلاء الدّهاة، وفي سيرته قوّة وحزم وله « ديوان شعر » (الأعلام 248/6)

(13)كذا في الأصل المطبوع، ولعلّ الصّواب « جامًا من المرق »

فصل

في الكنَايةِ عن الشّراب والملاَهي وما يُضَاف إليْهما

الأصْل في هذا الفَصْل قول الشّاعر :

ألا فاسْقِني الصّهباء من حلب الكرم ولا تسقني خمرًا بعلمكَ أوْ علمي
أليستْ لها أسماء شتّى كثيرة فهات أسسقنيها واكْن عن ذلك الاسْم

ويقال، استمطر فلان سحاب الأنْس واسْتدرّ حلوبة السّرور، وقدح زند اللّهو، واقتعد غارب الطّرب، وفلان يروم دَم العناقيد، ويفصد عُروق الدِّنان وينظم عُقود الإخوان.

وحكى الصّولي قال : كان خلاّد (1) ينقُل أخبار أبي حفص بن أيّوب إلى ابن طولـون (2)، فقال له حفص : يا سيّدي أبا الفضْل إنّما مجلسُ المدام مجمع الأنسة ومسرح اللّبانة و[مذادُ] (3) الهم ومرتع اللّهو ومعهد السّرور، [و إنّها توسطته عند من لا يُتّهـم غيبُه] (4) .

---

(1) في « جمع الجواهر في الملح وَ النوادر » للحصري : « ابن جُدّار »

(2) في نفس المصدر : « العبّاس بن أحمد بن طُولون ».

(3) في الأصل المطبوع « هداد »، ومَا أثبتناه من « جمع الجواهر ».

(4) في الأصل المطبوع « أو بهاجواسطته لأنّك عندي مّمن لا يُتّهم غيبه »، ولا معنى له، وَمَا أثبتناه من « جمع الجواهر ». ونظرا لما بين الرّوايتين من إختلاف نورد فيما يلي الخبر كما ورد عند الحصري (ص 74) : « وكـان ابن جدّار ينقـل أخبار أبي حفص إلى العبّاس بن أحمد بن طولون، فَصَارَ إليه يومًا فقال : أعزكَ اللّه، إنّما مجلس الُمدام حُرمة وأنس، ومسرح لبانة، وَمذاد همّ، ومرتع لهو، ومهد سرور؛ وَإنّما توسّطته عند من لا يُتّهم غيبه، وقد بلغني مَا تُنهيه إلى أميرنا أبي الفضل من أخبار مجالسي. »

وكتب الصّاحب : يَنْشُط مولانا لتناول ما يستمدّ [بهِ] (5) السّرور ويَسْتجلب الأنس ويشْرح الصّدر.

وكتب آخر : إذا حَرُم الانبساط في وجُوه المطالب حلّ ما يجمع شمل الإخوان ويفرّق أنواع الأحزان.

وكنّى عنه بعضهم بإكسير السّرور (6) وكيمياء الفرح (7) وترياق (8) الهموم و صابون الغُموم وحَمّام أرْحام الكِرام(9).

وكتب آخر : عدنا لقداح اللّهو فأجَلْناها ولمراكب السّرور فامْتطينَاها.

وذكر الطّبري في كتاب « الأمثال المُولّدة » أنّه يقال للسّكران إذا بلغ غاية السّكر : قد عبر مُوسى البحْر.

وسُئل عبيد راوية الأعْشى عن معنى قول الأعشى :

وسبيئة (10) ممّا تُعتّق بَابلٌ، كدم الذّبيح سلبتُها جِرْيالَها (11)

فقال : قد سألت الأعشى عن ذلك، فقال : قد شربتها حَمْراء وبُلْتها حمراء. والجريال لون الخمْر.

ويُروى عن الشّعبي أنّه قال : ما سمعْت في الكنايات والمعاريض

---

(5) مَا بين الحاصرتين أضفناه ليستقيم التّركيب.

(6) ثمار القلوب، ص 686، وفيه . « قُطب السّرور ».

(7) نفس المصدر.

(8) التّرياق : دواء السّموم، والعرب تُسمّي الخمر ترياقا وترياقة لأنّها تذهب بالهمّ.

(9) نفس المصدر، وفيه : « صابون الفرج وَجام الكرام ».

(10) السّبيئة . الخمر المشتراة.

(11) الجريال : صبغ أحمر استعاره للون الخمرة. انظر الديوان ص 150 .

أحسن ممّا دار بين عبيد اللّه وبين الحارث بن بدر، قال له يومًا : ما هذا الخدش بوجهك ؟ فقال : إنّي سقطت عن فرس لي أشقر، يعني الخمر، فقال : أين أنت عن(12) الأشْهب الوطيء يعني الماء ؟

ويقال في الكناية عن القليل الشّرب ، فلان مِسْعطيّ وهو من قول ابن لنكك :

فديتك لو علمتَ ببعض ما بي   لما جرّعتني إلاّ بمسعطِ
وحسبك أنّ كرمًا في جواري   أمرّ ببابه فأكاد أسقطِ

وأنشدني أبو جعفر محمد بن موسى المُوسويّ لبعضهم :

ويدّعي الشّرب في رطلٍ (13) وباطيةٍ (14)   وأمُّ عنترة العبْسي تكفيه

يعني زبيبة، وكان اسْم أمّ عنترة زبيبة .

ومثل هذه الكناية، وإنْ كان من غيْر هذا الباب قولُ ابن طَبَاطِبَا :

مُنعم الحسْم يحكي الماء رقّته   وقلبه قسْوة يحكي أبا أوْس

يعني حجرًا، فوضع مكان الحجر أبا أوس وأبو أوس حجر.

ثمّ نعاه عليه أبو مسلم محمّد بن بحر فكتب اليه :

أبا حسن حاولت إيراد قافية   مصلبة المعْنى فجاءتك وَاهيهْ
وقلت أبا أوسٍ تريد كنايةً   عن الحجر القاسي فأوردت داهيهْ

---

(12) كذا في الأصل المطبوع، والصّواب « من ». وانظر تفاصيل الخبر في شرح نهج البلاغة .

(13) الرّطل وَالرِّطْلُ : الذّي يُوزن به ويُكال، وقدره اثنتا عشرة أوقيّة بأواقي العرب، والأوقيّة أربعون درهمًا، فذلك أربعمائة وثمانون درهما .

(14) البَاطِيَةُ : إناء من الزّجاج، وهي عظيمة تُملأ من الشّراب وتُوضع بين الشَّرْبِ يغرفون منها ويشربون .

فإن جاز هذا فاكْسَرن غيـر صاغرٍ   فمي بابُ القرم (15) الهمام معاويهْ

يعني صخرًا، وهو اسم أبي سفيان :

وإلّا نصبنـا بيننا لك وقعةً   فتصبـحُ ممنوعًا بصفّين ثانية

عاد الحديث إلى شرط الفصْل.

كتب الـطّبري يصف مُطْربًـا : فلان طبيب القلوب والأسماع ومحيي مَوَات الخواطر والطِّباع.

وقال غيره : فلان يُطْعم الآذان سُرورًا ويقدح في القلوب نورًا. وكتب الصّاحب : أعلام الأنس خافقة وألْسُـنُ الملاهي ناطقة.

وكتب أبو الفرج الببّغاء (16) : قد فَضّ اللّهو أختامه ونشر الأنس أعلامه.

وقال غيره : قد سمعنا ما يرفع حجاب الأذن ويأخذ بمجامع القلب ويمتزج بأجْزاء النّفس.

---

(15) القرم . الشّجاع

(16) أبـو الفرج الببّغاء (توفّي سنة 398 هـ) : شاعر مشهور، وكاتب مُترسّل من أهل نصّيبـين . اتّصـل سيف الدّولة، ودخل الموصل وبغداد. ونادم الملوك والرّؤساء. له « ديوان شعر ». (الأعلام 177/4)

الباب السّابع
في فنون شتّى من الكناية والتّعريض مختلفة التّرتيب

فصل
في الكناية عن العزْل والهزيمة وبعض الألفاظ السُّلْطانية

قال الرّشيد (1) ليحيى بن خالد (2) : قد أردت أن أجْعل الخاتم الذّي إلى أخي الفضْل (3) إلى أخي جعفر واحْتشمت من الكتابة اليه، فاكتب

---

(1) هارون الـرّشيد (149 ـ 193 هـ) : خامس خلفـاء الـدّولـة العبّـاسيّة في العـراق وأشهرهـم. ولد بالريّ، لّما كان أبوه أميرًا عليها وعلى خراسان بويع الخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170، فقام باعبائها وازدهرت الدّولة في أيّامه، واتصلت المودّة بيه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبـير الملقّب بشـارلمان. وكان الرّشيد عالما بالأحبار والأدب والحديث والفقه، فصيحا، وله شعر. وكان يلقّب بجبّار بني العبّاس. أوقع بالبرامكة في ليلة واحدة وتوفّي بطوس. (الأعلام 62/8)

(2) يحيى بن خالـد البرمكي (120 ـ 190 هـ) · سيّد بني برمك وأفضلهم. وهو مؤدّب الرّشيد العبّاسي ومعلّمه ومُربّيه، وكان يدعوه أبي قلّده الرّشيد أمره فعلا شأنه. واشتهر بجودة وحسن سياستـه. واستمرّ إلى أن نكب الـرّشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه إلى أن مات (الأعلام 144/8)

(3) الفضل بن يحيى البرمكي (147 ـ 193 هـ) : وزير الرّشيد العبّاسي وأخوه في الرضاع. كان من أجود النّاس إستوره الرّشيد مدّة قصيرة تمّ ولاّه خراسان فأقام فيها إلى أن فتك الرّشيد،

أنت اليه اكفنيه، فكتب يحيى اليه : قد رأى أمير المؤمنين أن يُحوّل الخاتم من شمالك إلى يمينك. فأجاب : سمعًا وطاعة، وما انتقلت عنّي نعْمة صارت إلى أخِي.

وكتب عَامل إلى المصرُوف به فألْطف وطرّف:قد قلّدتُ العمل بناحيتك فهنّـاك اللّه بتجـديد ولايتـك، وأنفذتُ خليفتي بخلافتك فلا تُخْلِه من هدايتك إلى أن يُمنّ اللّه بزيارتك، فأجابه بهذه الأحْرُف : ما انتقلت عنّي نعمة صارت اليك، ولا خلوت من كرامة اشتملت عليك، وإنّي لأجد صرْفي بك ولاية ثانية وصلة من الوزير وافية لما أرجوه بمكانك من حسن الخاتمة ومحْمُود العاقبة.

ومن ألفاظ الكناية عن العزل : قد أُغْمد سيف كفايته وعُطِّل الدّيوان من رياسته، حُطَّ عنه ثقل العمل.

وقد يُكَنّى عن العزل بالصّرف وعن المصادرة بالمواقعة، وعن الهزيمة بالـتّراجع والتحيّز كما كتب أبو اسحاق الصّابي عن بختيار إلى صاحب طرف بازاء عدوّ : وإن حزَبك أمر يجب الاحْتراس منه عملت إلى التحيّز إلى الحضرة فإنّها ممهّدة لك غير نائية عنك.

ويكَنّى عن شغب العسكر باللّوثة، كما كتب أبو الحسن التّومي عن أبي علي الصّغاوي : وقد بدرت من الحشم لوثة أعان اللّه على اسْتداركها ومُداواتِها.

= بالبرامكة، وكان الفضل عنده ببغداد، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى، وتوفّي الفضل في سجنه بالرّقة (الأعلام 5/151 ـ 152)

ويُكنّى عن التّقْييد فيقال : استُوْثق منه بالحديد.

ويُروى أن الحجّاج قال لِلْغَضْبان بن القُبَعْثَري : لأَحْملنّك على الأدهم يكَنّي عن القيد فتغابى عليه، وقال : مثل الأمير يَحْمل على الأدهم والأشهب. قال : إنّه الحديد، قال : لأن يكون حديدًا (4) أحبّ إليَّ من أن يكون بليدًا.

ويُكَنّى عن الرّشوة بصبّ الزّيت في القنديل.

وربّما قيل لذلك القَنْدلةُ.

وكان يحيى بن خالد ولّى ديوان الخراج رجلا من أهل خراسان يقال له أبو صالح، فارْتشى فعزله وولّى مكانه سعْدان بن يحيى فقيل فيه :

صبّ في قنديل سعدان مع التّسليم زيتا
وقنديل بنيه قبل أن يخفى الكميتا

فعزله يحيى وأعاد أبا صالح فقيل فيه :

قنديلُ سعدان على ضوئه فرخ لقنديل أبي صالحِ
تراهُ في مجلسه أحولاً من لمحه للدِّرهم اللاّئحِ

وفي هذه الكناية أُنشدت لابن لنكك :

أقول لعصبة بالفِقْه صالت وقالت ما خلا ذا العلم باطل
أجل لا علم بوصلكم سواه إلى مال اليتامى والأرامل
أراكم تَقْلبون الحكم قلبًا إذا ما صُبّ زيتٌ في القنادل

---

(4) حديدًا : شديدًا، صعب المراس.

وسمعت أبا زكريا يحيى بن اسماعيل الحربيّ يقول : قد كَنّى عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه عن استخراج الخراج والعُشْر وسائر حقوق بيت المال بقوله : وأَدِرّوا لَقْحَة (5) المسلمين. أراد بلقحتهم درّة الفيْء (6)، والخراج التّي منْها عَطَايَاهُمْ.

ومن ذلك أن سيّدنا عثمان بن عفّان لما ولي الخلافة عزل عمرًا بن العاص (7) عن مصر، وكان أميرًا عليها من يوم فتحها في خلافة الفاروق إلى أن ولي عثمان، وولّى مكانه عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح (8)، فأرسل الخراج لسنة أربعة عشر ألف ألف دينار، وعمرو بن العاص حاضر إذ ذاك عند عثمان، وكان عمرو يُرْسلها ثلاثة عشر ألف ألف دينار، فقال عثمان : قد درّت اللّقحة يا عمرو، قال : نعم يا أمير المؤمنين، ولكنّكم أجْحفتم فصالها (9).

---

(5) اللّقحة وَ اللُّقحةُ · النّاقة الحلوب الغريرة اللّبن، ولا يوصف به

(6) الفَيْء : الظلّ وَالخراج وَالغَنيمة

(7) عمرو بن العاص (50 ق. هـ ـ 43 هـ) : فاتح مصر وَأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرّأي وَالحزم وَالمكيدة فيهم. كان في الجاهليّة من الأشدّاء على الاسلام، وأسلم في هدنة الحديبيّة استعمله الرّسول على عمان، ثمّ كان من أمراء الجيوش في الجهاد بالشامّ في زمن عمر. وَلّما كانت الفتنة بين عليّ ومعاوية، كان عمرو مع معاوية، فولاّه معاوية على مصر سنة 38 وأطلق له خراجها ستّ سنين فجمع أموالا طائلة. وتوفّي بالقاهرة. وله في كتب الحديث 39 حديثا. (الأعلام 5/79)

(8) عبد اللّه بن أبي سرح (توفّي سنة 37 هـ) · فاتح إفريقية وفارس بني عامر، من أبطال الصّحابة. ولي مصر سنة 25 هـ فاستمرّ نحو 12 عامًا زحف خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا عليّ، وعبد اللّه بن عبّاس وعقبة بن نافع، فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة ودانت له إفريقية كلّها. إعتزل الحرب بين عليّ ومعاوية زمن الفتنة، ومَات بعسقّلان. وهو أخو عثمان بن عفّان من الرّضاع. (الأعلام 88 ـ 89).

(9) فصالها : واحدها الفيصلُ : ولد النّاقة إذا فُصِل عن أمّه

فصل
في الكناية عمّا يُتطيّر من لفظه

يكَنّى عن اللّديغ بالسّليم[1]، وعن الأعْمى بالبصير[2]، وعن المهْلكه بالمفازة[3]، وعن ملك الموت بأبي يحيى[4]. وقد ظرّف الصّاحب في وصف أخوين مليح وقبيح، حيث قال :

يحيى حكـى المحيّا ولكن له أخ حكـى وجـه أبـي يحيى

ويُكَنّى عن الحبشيّ بأبي البيضاء[5]، كما قال الشّاعر :

أبو صالحٍ ضدّ اسْمه واكتنائه كما قد ترى الزّنجي يُدْعى بعنبرِ
ويكنى أباً البيضاء واللّونُ حالكٌ ولكنّهـم جاؤوا بـه للتطيّرِ

---

(1) « ثمار القلوب »، ص 246

(2) شرح نهج البلاغة » (52/5).

(3) نفس المصدر.

(4) نفس المصدر، وزاد ابن أبي الحديد « كأنّهم أرادوا أنّه قد مُتّع ببقاء إحْدى عينيه، ولم يُجرم ضوءهما معًا ».

(5) « ثمار القلوب »، ص 250، و « نهج شرح البلاعة » (53/5).

ولما ورد الخبر على المنصور (6) بخروج محمد بن ابراهيم بن عبد اللّه بن الحسن (7) بالبصرة وهو في بستان له ببغداد نظر إلى شجرة، فقال للرّبيع : ما اسم هذه الشّجرة ؟ فقال : « طاعة » (8) يا أمير المؤمنين، وكانت خلافًا فتفاءل المنصور بذلك وعجب من ذكائه (9).

ونظير هذه الكناية وإن كانت ليست في معناها ما يُحْكى أنّ رجلاً مرّ في صحن دار الرّشيد ومعه حزمة خيزران، فقال الرّشيد للفضل بن الرّبيع : ما ذاك ؟ فقال : عُروق الرمّاح يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول الخيزران لموافقته اسْم والدة الرّشيد (10).

فأمّا الكناية عمّا لا ينبغي أن يُكَنّى عنه فهاهنا حكاية فيها ذَكَر ابن عبدوس (11) في كتاب « الوزراء والكتّاب » أنّه عرض على المتوكّل أسماء

---

(6) المنصور (95 ـ 158 هـ) : عبد اللّه بن محمّد بن علي بن العبّاس، ثاني خلفاء بني العبّاس وأوّل من عني بالعلوم من ملوك العرب. كان عارفا بالفقه والأدب، مقدّمًا في الفلسفة والفلك، محبًّا للعلماء. وهو باني مدينة بغداد سنة 145 ه وجعلها دار ملكه بدلا من الهاشميّة التّي بناها السفّاح وهو والد الخلفاء العبّاسيين جميعا. وكان أفلحهم شجاعة وعزمًا إلاّ أنّه قتل خلقا كثيرًا حتّى إستقام مُلْكه ـ توفّي في ضواحي مكّة محرمًا بالحجّ (الأعلام 117/4)

(7) محمّد بن ابراهيم بن عبد اللّه بن الحسن : ثائر علويّ، خرج في زمن أبي جعفر المنصور، فظفر به جيش العبّاسيين وقتله.

(8) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد « وفاق »

(9) انظر الخبر في المصدر (54/5).

(10) انظر هذا الخبر في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (54/5)

(11) ابن عبْدُوس الجَهْشَياري (توفّي سنة 331) . مؤرّخ من الكتّاب المترسّلين، من أهل الكوفة. نشأ مع أبيه في بغداد. وكان أبوه حاجبا للوزير علي بن عيسى، فخلفه على الحجابة له، ثمّ للوزير حامد بن العبّاس في خلافة المقتدر باللّه. ونُكب يوم قُبض على ابن مقلة فأدّى 80 ألف دينار وَأطلق، وكان من أصحابه. ومات ببغداد مستترا. من مُصنّفاته . « كتاب الوزراء وَالكتّاب » و« أخبار المقتدر العبّاسي » و« أسمار العرب وَالعجم والرّوم وغيرهم ». (الأعلام 256/6)

جماعة من الكتّاب ليُقلَّدوا الأعْمال، فكان ممّن عُرض عليه اسْم طماس ابن أخي ابْـراهيم بن العبّاس فضرب عليه، وقال : لا يُوَلّى ولا كرامة فإنّه يبكي من الحجامة، ويسمّي الشّمس العُدوَة (12).

ويكنّى عن الحيّة بالطويلة وعن الجنّ بعمار الدّار.

---

(12) كذا بالأصل.

فصل
في الكناية عن مَرَمَّة [1] البدن

سمعت الطّبري يقول : كنت يومًا بين يدي سيف الدّولة بحلب فدخل عليه ابن عمّ له فاستبطأه الأمير، وقال له : أين كنت اليوم وبِمَ اشتغلت ؟ فقال : أيّد اللّه مولانا. حلقت رأسي وأصلحت شعري وقلّمت أظفاري. فقال له : لو قلت أخذت من أطْرافي كان أوجز وأبلغ. وأحسن من هذا قول اللّه تعالى : ﴿ ثمّ ليقضوا تفثهم ﴾ [2]

قال أبو منصور الأزهري في كتاب « تهذيب اللغة » : لم يفسر أحد من اللّغويين التّفث كما فسّره النّضْر بن شُمَيْل إذ جعل التّفث الشّعث، وجعل قضاءه إذهابه بدُخول الحمّام والحلق والأخذ من الشّعر ونتف الابط وحلق العانة.

ومن لطائف الأطبّاء كناياتهم عن الاسْهال بالاسْتفراغ وعن القيء بالتّعالج.

ووجدت بخطّ أبي الحسن السّلامي [3] في دفتر من منتخب شعره أتحف

---

(1) اَلمَرَمَّةُ : متاع البيْت، وهي هنا بمعنى إصْلاح البدن.

(2) سورة الحجّ، الآية 29.

(3) أبو الحسن السَّلاميّ (توفّي سنة 374 هـ) : شاعر، له إشتغال بالحديث والتّاريخ والأدب، من أهل بغداد. رحل إلى سمرقند وبلخ وبُخارى، ومات بها أو بمرو. صنّف كُتبا في « التّواريخ » و« نوادر الحكّام » (الأعلام 4/141).

فصل

في ما شذّ من هذا الباب من كنايات أخْبار النبي ﴿ﷺ﴾

يُرْوى عن أبي أُمامة عن عائشة رضي اللّه تعالى عنها أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : « لا يقولَنّ أحدكم خُبثت نفْسي ولـيقل لَقِست (1) نفسي ».

ويُرْوى أن بني قريظة (2) وكعب بن أسعد لما عاقدوا النّبي ﴿ﷺ﴾ على الموادعة قَبِلها منهم. فلمّا كان عام الخندق أتاهم جبير بن أخطب، وحملهم على نقض العهود، فنقضوها، وأتى الخبر إلى النّبي ﴿ﷺ﴾، فبعث رجالاً ليتعرّفوا الخبر، وقال لهم : « إن كان حقًّا فألحنوا به إليّ لحنًا أعرفه ولا تفتّوا (3) فـــي أعضاد النّاس، وإن كانوا على الوفاء فصرّحوا واجْهَروا به ».

فأتوهم، فحرقوا كتابهم الذّي عاقدوا عليه رسول اللّه ﴿ﷺ﴾، ورجع القوم، فقالوا : عضل و القارة، يُكَنّون عن أنهم غدروا كما غدرت عضل والقارة، وهم بنو الهوز بن خزيمة قدموا على النّبي ﴿ﷺ﴾، فقالوا إنّا فينا برسـول اللّه إسْـلامًا، فابعث إلينا نفرًا من أصحابك يعلّموننا، فبعث معهم سبعة نفر أميرهم مرثد بن مرثد فلما كانوا ببطن الرّجيع وهو ماء لبني هذيل، قال العضليون لمرثد : أقيموا حتّى نرتاد لكم منزلاً، ومضوا حتّى أتوا بني لحيان فقالوا : هؤلاء نفر من أصحاب محمّد ندلّكم عليهم على أنّ

---

(1) لقِست نفسه إلى الشيّء . نازعته إليه وحرصت عليه، ولقست نفسه، أي غثّت.

(2) بنو قُرَيْظة : قبيلة من قبائل اليهود التّي كانت مُقيمة في المدينة على عهد الرّسول.

(3) فتّ في عضده : وهنّ عزيمته.

به أبا الحسن محمّد بن عبد اللّه الكرخي أبياتًا له بديعة في الكناية عن النّورة (4) :

لمّا التحى أضحتْ عمامتُه السّوداء تحكي محضَر الحنكِ
وصار يحتالُ أو بلين (5) بحلق الشّعر عن ردْفه الفتك
في كلّ يومٍ تراه متّزرًا بالرّوض بين الحياض والبركِ
وما علمنا بأنّه قمرٌ حتّى اكْتسى قطعةً من الفلكِ

(4) النُّورَةُ : حجر يُحرق ويُسوّى منه الكِلْس ويُحلّق به شعر العانة .

(5) كذا في الأصل المطبوع ، ولم نهتد لمعناها وَلعلّها « يُبِينُ » .

ما أصبتم من هذا بيننـا وبينكم، قالوا : نعم، فاسْتأسر بعضهم وأبى بعض، فقتلوا من لم يستأسر. فهذه قصّة عضل والقارة.

وكان أصحاب رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ إذا قعدوا عنده كأنّ على رؤوسهم الطّير، فانْبرى يومًا حسّان (4) فأنشده قول الأعشى (5) :

كِلا أبويْكُمْ كان فرعًا دعامةً، ولكنّهـم زادوا وأصبحـتَ ناقصًا
تبيتون في المشْتـــاة ملأى بطونكم، وجاراتكم غرْثَـى يَبتْن خَمائِصًا

فقال له رسول اللّه ﴿ﷺ﴾ : « لا تنشد هجاء علقمة فإن أبا سفيان شغب منّي عند هرقل فغرّب عليه علقمة » فقال حسّان : يا رسول اللّه من نالتك يده وجب علينا شكره، فما سمع في الكناية عن الوقيعة بأحسن من قوله شغب مني، ولا في الكناية عن الانكار والاحتجاج كقوله فغرب عليه ولا في الاعتذار كقول حسّان : من نالتك يده وجب علينا شكره.

---

(4) حسّان بن ثابت الأنصاري (توفّي سنة 54 هـ) : صحابيّ وشاعر النبيّ وأحد المخضرمين الـذّين أدركـوا الجاهليّة والاسْلام. وكان من سكّان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسّانيين وملوك الحيرة قبل الاسلام، وعمى قُبيل وفاته. لم يشهد مع النبيّ مشهدا لعلّة أصابته. وكان شديد الهجاء، فحل الشّعر. وممّا كتب في سيرته وشعره « أخبار حسّان » للزّبير بن بكّار. توفّي في المدينة. (الأعلام 175/2).

(5) البيتان في الدّيوان من قصيدة بعنوان « هل كنتُم إلاّ عبيدًا ؟ يهجو فيها الأعشى علقمة بن علاثة.

فصل
في ضدّ الكناية

ومعناه تقْبيح الحسن كما أنّ معنى الكناية تحسين القَبيح .

دخل بعض الظّرفاء كرمًا فنظر إلى الحصْرِم فقال : اللّهمّ سوّد وجهه واقطع عنقه واسْقني من دمه . ويقال إنّ سليمان بن كثير قاله وقد جرى بين يديه ذكر أبي مسلم الخراساني (1)، فنمى الحديث إلى أبي مسلم فعاتبه عليه فأنكر أن يكون قاله فيه، فقال أبو مسلم : أخبرني الثقة عنك بهذا، فقال : نعم قُلته، ولكن في كرم كذا لما نظرت إلى الحصْرم فاسأل الحاكي عن ذلك، فإن ذكر لك حديث الكرم فصدّقني، فإن ذكر أنّي قلته في مكان سوى الكرم فالأمر على ما ظننت. وقد نظم بعض هذا النّثر من لم يوفه حقّه، إذ قال :

مـررتُ علـى عنقـود كرمٍ معلقٍ بقُطْرُبّلِ (2) يومًا وقد كان حصرما (3)
فقلـتُ أراني اللّه وجهـكَ أسودًا وأسقيـتُ يا عنقودَ من جوفك الدّمـا

---

(1) أبو مسلم الخراسانيّ(00 ـ 138 هـ) : مؤسّس الدّولة العبّاسيّة ، وأحد كبار القادة . هزم مروان بن محمّد، آخر ملوك الأمويين في الشامّ . ورأى منه المنصور ما أخافه أن يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة ، فقتله برومة المدائن . وكان فصيحا بالعربيّة والفارسيّة . داهية حازما، راوية للشّعر . وللمرزباني كتاب « أخبار أبي مسلم » في نحو مئة ورقة . (الأعلام 3/ 337 ـ 338)

(2) قُطْربّلُ : كلمة أعجميّة، اسم قرية بين بغداد وعُكْبرا ينسب إليها الخمر، وكانت مُتنزّها للبطّالين وحانة للخمّارين، وقد أكثر الشّعراء من ذكرها . (معجم البلدان 4/ 371) .

(3) الحِصْرِمُ : أوّل العنب، ولاَ يزال العنب ما دام أخضر حِصْرِمًا

فصل
في ما شذّ عن الكتّاب من كناياتٍ لأهل بغداد

يُكَنّـون عن اللّحية بالمحاسن، فيقولون لمن بلحيته قذاة : يدك على محاسنك. ويُكَنّون عن الزّنية شتمة بالزّاي. قال بعض أهلِ العصر :

صديقٌ لنا قد كساه الزّمـا نُ ثيابَ الغنى رافعاً شأنه
نـراه غليظَ مـزاجِ الكـلام إذا كسـر التّيـه أجفانه
يُخاطـبُ بالكـاف إخوانـه ويشتـم بالـزّاي غلمانه

ويقولون فيمن يُسخر به وهو لا يدري : رُقص في زورقه.

ويَدْعُونَ على من يعادونه فيقولون : سلّط اللّه عليه من لا يَجْتَرّ، يعنون السّبع، ويُكَنّون عن القوّاد بالنّقيب. قال الصّاحب :

يا ابن يعقوب يا يقيبَ البدور كنْ شفيعي إلى فتى مسرورِ
قـلْ لـه إنَّ للجمـال زكاةً فتصـدّق بها علـى المهجـورِ

مرّ ابن مكرم على أبي العيناء وهو على مُصَلّى له فأراد أن يجلس عليه معه فقال : لا تقدر على مصَلّاي، فقال : بل هو مُتمرّغ فسقك.

ولما ولي سعيد بن حميد ديوان البريد بالحضرة، قال فيه أبو عليّ البصير :

بأبـي نفـسُ سعيـدٍ إنّهـا نفـسٌ شريفـة
لـم يـزل يحتـالُ حتّـى صـار غمّـازَ الخليفة

فصل
في فنون من التّعْريضات

العـرب تستعمـل التّعريض في كلامها فتبلغ ارادتها بوجْه هو ألطف وأحسن من الكشف والتّصريح .

ويعيبون الرّجل إذا كان يكاشف في كلّ وجه يقولون : فلان لا يحسن التّعريض إلا ثلبًا .

وقد جعله اللّه في خطبة النساء جائزًا فقال : ﴿ ولا جناحَ عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكنْتم في أنفسكم ﴾ (1). ولم يُجزْ التّصريح .

والتّعريض في الخطبة أن يقول للمرأة : واللّه إنكِ لشابّة ولعلّ اللّه أن يرزقك بعلاً صالحًا، وإنّ النساء لمن حاجتي، وأشباهه من الكلام .

وروى بعض أصحاب اللّغة أن قومًا من الأعراب خرجوا يمْتازون، فلمّا صدروا خالف رجل في اللّيل إلى عِكْم (2) صاحبه وأخذه وجعله في عِكْمه، فلما أرادا الرّحلة وقاما يتعاكمان رأى عِكْمه يشول وعكم صاحبه يرجح ويثقل، فأنشأ يقول :

عِكْمٌ تعشّى بعض أعْكَام القوم   لم أرَ عكمًا سارقًا قبل اليوم

---

(1) سورة البقرة، الآية 235 .

(2) العِكْمُ : عكم المتاع : شدّه بثوب، وهو أن يبسطه ويجعل فيه المتاع وَيشدّه .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللّه عنهما في قوله عزّ وجلّ حكايةً عن موسى عليه السّلام : ﴿ ولا تؤاخذني بما نسيت ﴾ (3) قال : لم ينس ولكنها من معاريض الكلام. وأراد ابن عباس أنّه لم يقل إنّي نسيت، فيكون كاذبًا ولكنّه قال : « لا تؤاخذني بما نسيت » فأوهمه النّسيان تعريضًا.

وسايرَ شريك النّمري (4) عمر بن هُبيْرة الفزاريّ على بغله فجازت برْذون عمر فقال له عمر : اغْضُض من لجَامها، فقال شريك : إنّها مكتوبة، أراد عمر قول الشّاعر :

فغُضّ الطّرف إنّك من نُميرٍ فلا كعبًا بلغْتَ ولا كلابَا (5)

وأراد شريك قول الآخر :

لا تأمنــنّ فزاريًّا خلوت به على قَلُوصك وأكْتبُها بأسْيار (6)

والتقى تميميّ ونُميريّ في مجلسٍ وخاضا مع الخائضين، فقال التّميميّ يُعْجبني من الجوارح البَازي، فقال النُّميريّ : لا سيّما إذا كان يصيد القَطاة. وإنّما أراد التّميميّ قول الشّاعر :

أنا الباز المطلُّ على نُميرٍ أتيحَ من السّماء لها انصبابا (7)

---

(3) سورة الكهف، الآية 73.

(4) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد « سنان بن أحْمس النّميريّ ».

(5) البيت لجرير.

(6) البيت لابن دَارة.

(7) البيت لجرير، الدّيوان، 72.

وأراد النميري قول الطّرمّاح (8) :

تميمٌ بطرْق اللّؤم أهْدى من القطا   ولو سلكت طرقَ (9) المكارم ضَلّت (10)

ودخل رجل من محارب على عبْد اللّه بن يزيد الهلاليّ وهو بأرمينية فقال عبد اللّه : ما لقينا البارحة من شيوخ محارب، ما تركونا ننام، يعني الضّفادع، ويريد قول الأخطل :

تنقّ (11) بلا شيء شيوخُ محارب   وما خلتها كانت تريش ولا تبري (12)

ضفادعُ في ظلماءِ ليلٍ تجاوبتْ   فدلّ عليْها صوتها حيّة البحرِ (13)

فقال : أصْلحك اللّه، إنّهم أضلّوا البارحة برقُعًا فكانوا في طلَبه، يريد قول الشّاعر :

لكلّ هلاليّ من اللّؤم جنّةٌ   ولابن يزيد بُرقعٌ وجلالُ

---

(8) الطِّرمّاح (توفّي نحو 125 هـ) : شاعر إسلاميّ فحل. ولد ونشأ في الشامّ، وانتقل إلى الكوفة، فكان مُعلّمًا فيها. واعتقد مذهب « الشّراة » من الأزارقة. واتّصل بخالد بن عبد اللّه القسْريّ، فكان يكرمه ويستجيد شعره. وكان هجّاءًا، معاصرًا للكميت صديقا له، لا يكادان يفترقان. له ديوان شعر صغير. (الأعلام 225/3)

(9) في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد : « سُبْلَ ».

(10) انظر الخبر في « شرح نهج البلاغة » (23/5)

(11) تنقّ . تصدر أصواتا كأصوات الضّفادع.

(12) لا تريشُ وَلا تبْري · استعارة معناهَا لا تقدّم في الحرب ولا تؤخّر.

(13) البيتان في الدّيوان، وهما من قصيدة في مدح عبد الملك بن مروان وهجاء القيسيّين.

ومن التّعريضات بالفِعْل :

ما يروى أنّ معــاوية أرســل إلى عمـرو بن العـاص بكـلام فقـال للرّسـول : انظر ما يردّ عليك، فلما تكلّم عضّ عمرو إبهامه حتى فرغ الرّسول ولم يزده على ذلك. فلمّا رجع إلى معاوية أخبره بفعله، فقال له معاوية : ما أراد ؟ قال : لا أدري، فقال : إنما قال أتُقرّ عَنّي وأنا ألوك شكيمة قارِح ؟ (١) .

وكان الفضل بن الرّبيع مطعونًا عليه في نسبه لأنّ الرّبيع كان مملوكًا ولكنّه ينتمي إلى يُونس بن محمّد بن أبي فروة موْلى عثمان، وذلك أنّ جارية ليونس ولـدت الرّبيع فأنكره يونس، فلمّا ترعرع باعه وتقلّبت به أحوال وأملاك حتّى اشتراه زياد بن عبد اللّه الحارثي خال السفّاح، فلمّا رأى عقله وأدبه أهْداه إلى المنصور، فلمّا أعتقه واصْطنعه بلغه أنّه ينتمي إلى يونس فأدّبه، وقال : أعتقتك واستنجبتك ثمّ تدّعي ولاء عثمان ؟ فلهذه القصّة كان جعفر بن يحيى يُكَنّي الفضل بن الرّبيع أبا رَوْح لأنّ اللّقيط به يُكَنّى .

وأهل المدينة يسمّون اللّقيط فرخًا وهو عندهم فرخُ زنا. فيُحْكى أنّ الرّشيد كان يأكل يومًا مع جعفر فوضعت لهما ثلاثة أفراخ، فقال الرّشيد لجعفر يمازحه : قاسمني لنستوي في أكلها، فقال : قسمة عدل أم قسمة جور ؟ قال : قسمـة عدل، فأخـذ جعفر فرخين وترك واحدًا، فقال له الـرّشيد : أهــذا العـدل ؟ قال : نعم معي فرخـان ومعـك فرخـان، قال : فأين الآخر ؟ قال : هذا، وأومأ إلى الفضل بن الرّبيع، وكان واقفًا

---

(1) القارِحُ : الفرسُ إذا انتهت أسْنانه، أي اكتملت.

على رأسه، فتبسّم الرّشيد وقال : يا فضل لو تمسّكت بولائنا لسقط هذا عنك. ولم يفهم الفضل ما قالاه إلاّ بعد مدّة.

ويُروى أنّ رجلاً من بني فزارة رمى إلى رجل من بني ضبّة بخاتم أزرق فشدّ عليه الضّبّي سيرًا وردّه اليْه، وإنّما أراد قول الفزاريّ قول الشّاعر :

لقد زَرِقت عيناك يا ابن مكعبرٍ كما كل ضبي من اللؤم أزرقُ

وعرّض الضبّي بقول الآخر :

لا تأمنَنّ فزاريًا خلوت به على قلوصك واكْتُبها بأسيار (2)

وذكر أبو علي السّلامي في كتاب « نُتف الطّرف » أن عبد اللّه بن طاهر ولّى بعض بني أعمامه مرو فاشتكاه أهلها فوفد جماعة منهم على عبد اللّه وشكوه اليه، وأكثروا القول فيه فقدّر أنّهم يتزيّدون عليه، فلم يعزله، فلمّا انصرفوا قال بعض المشايخ بها : أنا أكفيكموه. وورد على عبد اللّه فسأله عن حال البلد فأخبر بالهدوء والسّكون، ثم سأله عن خبر واليهم فوصفه بالفضل والأدب وما يجمعه الأمير من النّسب، وبالغ في ذكر الجميل، ثمّ قال : إلاّ أنّه، ونقر بأصبعه على رأسه نقرة، يعني أنّه خفيف الدّماغ.

---

(2) جاء هذا الخبر في « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (5/31 ـ 32)، ونحن نورده في ما يلي : « حكى أبو عبيدة، قال : بينا نحن على أشراف الكوفة وُقوف، إذ جاء أسماء بن خارجة الفزاريّ فوقف، وَأقبل ابن مكعبر الضبيّ فوقف متنحّيا عنه، فأخذ أسماء خاتما كان في يده، فصّه فيروز أزرق، فدفعه إلى غلامه، وأشار إليه أن يدفعه إلى ابن مكعبر، فأخذ ابن مكعبر شسع نعله، فربطه بالخاتم، وأعاده إلى أسماء، فتمازحا وَلم يفهم أحد من النّاسِ مَا أرادَا، أراد أسماء بن خارجة قول الشّاعر :

لقد زرقت عيناك يابن مكعبر كذا كلّ ضبيّ من اللّؤم أزرق.

وأراد ابن مكعبر قول الشّاعر :

لا تأمننّ فزاريًا خلوتَ به على قلوصكَ وَاكتُبها بأسْيَارِ.

فقال عبد اللّه : ما للولاّة والطّيش، أعْزلوه، فعزله وانْصرف الشّيخ إلى مرْو فأعلمهم أنّه عزله بنقْرة.

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : ولد لابن مكُرّم ابن فجَاءه أبُو العيناء مُهنّيًا، ولّما خرج خلّف عنده حجرًا يعرّض بأن الولد للفراش وللعاهر الحجر (3)

وحكى ابن عبدوس في كتاب « الوزراء والكتّاب» أن سُلَيْمان بن وهْب (4) كـــان يتقلّد الخراج والضّياع بمصر والحسين الخادم المعروف بعرق الموت يتقلّد البريد بها، فحضر يومًا عند الحسين وكان يُمازحُه كثيًرا فاسْتدعى شربة سكبجيّة وجيء بها، فلما شربها قال : يا غلام ! ائتني بخلال، فعجب من حضر من طلبه الخلال عقب الشّراب، وإنما عرّض بالحسين الخادم وأشار إلى أنّ الخدم إذا أسنّوا صنعوا الأخِلّة، فقال الحسين : يا غلام أئتنا بخلالين، ووضع إحدى سبّابتيه على الأخرى كهيئة الصّليب يُعرّض بسليمان بأنّه كان نصْرانيًا، وكان يُتّهم بممالئة النّصارى واللّه سبحانه وتعالى أعْلم.

تمّ كتاب « النّهاية في فنّ الكناية » وصلى اللّه على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

---

(3) انظر « شرح نهج البلاغة » (35/5).

(4) سليمان بن وهْب (توفّي سنة 272 هـ) : وزير، من كبار الكتّاب، من بيت كتابة وإنشاء في الشامّ والعراق ولد ببغداد، وكتب للمأمون وهو ابن 14 سنة. وولي الوزارة للمهتدي باللّه، ثمّ للمعتمد على اللّه. ونقم عليه الموفّق باللّه، فحبسه، فمات في حبسه. له « ديوان رسائل ». وكان من مفاخر عصره أدبا وعقلا وعلمًا ولأبي تمّام وَالبحتريّ مدح به وبأهله. (الأعلام 137/3)

المصادر والمراجع

1) أخبار القضاة. وكيع.
2) أخبار النّساء. ابن قيم الجوزيّة. تحقيق الدّكتور محمّد قُميحة ـ دار الفكر اللّبناني ـ بيروت 1990
3) أدب الكاتب. ابن قُتيبة. تحقيق محمّد الدّالي ـ مؤسّسة الرّسالة ـ تونس 1982
4) الدّيارات. الشّابُشْتي. تحقيق كوركيس عوّاد. دار الرّائد العربي ـ بيروت 1986
5) الأغاني (1 ـ 25) أبو الفرج الأصبهاني ـ دار إحياء التّراث العربي ـ بيروت 1963
6) أخلاق الوزيرين. أبو حيّان التوحيديّ. تحقيق محمّد تاويت الطّنجي ـ دار صادر ـ بيروت 1992
7) الإمتاع والمؤانسة (1 ـ 3) أبو حيّان التوحيديّ. تحقيق أحمد أمين وأحمد الزّين ـ المكتبة العصريّة ـ بيروت 1953
8) الأعلام. الزِّرْكْلي
9) أخبار أبي نواس. ابن منظور (ملحق الأغاني. مجلّد 25). تحقيق عبد علي مهنّا ـ دار الكتب العلميّة ـ بيروت (بدون تاريخ).
10) أخبار أبي نواس. لأبي هفان. (مخطوط)
11) البيان والتّبيين (1 ـ 4). الجاحظ ـ تحقيق عبد السّلام محمّد هارون مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر ـ القاهرة 1960.

12) التّوفيق للتّلْفِيق. الثّعالبي. تحقيق هلال ناجي والدّكتور زهير زاهد. مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ - 1985.
13) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. الثّعالبي. تحقيق محمّد أبو الفضل ابْراهيم - دار المعارف - القاهرة 1985.
14) جمهرة الأمثال (1 - 2) أبو هلال العسكري . دار الجيل - بيروت 1988
15) جمع الجواهر في الملح والنوادر. الحصري - تحقيق علي محمّد البجاوي - دار الجيل - بيروت 1987.
16) ديوان ابن الرُّومي (1 - 6) - تحقيق عبد الأمير علي مهنا - دار مكتبة الهلال - بيروت 1991
17) ديوان ابن المعتزّ (1 - 2). تحقيق الدّكتور محمّدد بديع شريف - دار المعارف القاهرة 1977.
18) ديوان أبي نواس. تحقيق الأستاذ علي فاعور - دار الكتب العلمية - بيروت 1987
19) ديوان الأخطل. شرح وتقديم مهدي محمّد ناصر الدّين - دار الكتب العلمية - بيروت 1986
20) ديوان الأعشى. تحقيق الدّكتور حنّا نصر الحتّي. دار الكتاب العربي بيروت 1992
21) ديوان البحتري (1 - 2) دار صادر - بيروت - بدون تاريخ
22) ديوان بشّار بن برد. شرح مهدي محمد ناصر الدّين - دار الكتب العلمية بيروت 1993
23) ديوان عنترة. الخطيب التّبريزي. تحقيق مجيد طراد - دار الكتاب العربي - بيروت 1992
24) ديوان الميكالي. جمع وتحقيق جليل العطيّة عَالَم الكتب - بيروت 1985

25) ديوان جرير. دار صادر ـ بيروت 1991
26) ديوان الخِرْنق بنت بدر بن هفّان أخت طرفة بن العبد. رواية أبي عمرو بن العلاء. تحقيق يسري عبد الغني عبد اللّه ـ دار الكتب العلمية بيروت 1990
27) ديوان النّابغة الذّبياني. شرح الدّكتور حنّا نصر الحتّي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت 1991
28) ديوان الفرزدق (1 ـ 2) ـ دار صادر بيروت.
29) ذمّ الهوى. ابن الجوزي ـ تصحيح وضبط أحمد عبد السّلام عطا. دار الكتب العلمية ـ بيروت 1993
30) رسائل الجاحظ (1 ـ 4) تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة 1965
31) روضة المحبّين ونزهة المشتاقين. ابن قيّم الجوزيّة. تحقيق الدّكتور السّيد الجميلي. دار الكتاب العربي ـ بيروت 1985
32) زهر الآداب. (1 ـ 2) أبو اسْحاق الحُصْري. تحقيق الدّكتور زكي مبارك ـ دار الجيل بيروت ـ بدون تاريخ
33) شرح مقامات الحريري. الشّريشي (1 ـ 4) تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة 1976
34) شرح نهج البلاغة (1 ـ 20) ابن أبي الحديد. تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة 1965
35 ؛ شرح ديوان المتنبي ـ البُرقُوقي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت 1980
36) طبقات الشّعراء ـ ابن المعتزّ. تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ دار المعارف ـ القاهرة 1976
37) العقد الفريد (1 ـ 7) ابن عبد ربّه. تحقيق علي شيري ـ دار إحياء

التراث العربي ـ بيروت 1989
38) عيون الأخبار (1 ـ 4) ابن قتيبة. تحقيق الدّكتور يوسف علي طويل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت 1986
39) الكامل (1 ـ 4) المبرّد. تحقيق محمّد أحمد الدّالي ـ مؤسسة الرّسالة. بيروت 1986
40) لسان العرب (1 ـ 18) ابن منظور ـ دار إحْياء التّراث العربي 1988
41) مجمع الأمثال (1 ـ 4) الميداني. تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم ـ دار الجيل ـ بيروت 1987
42) مروج الذّهب (1 ـ 4) المسعودي. تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت 1988
43) المحاسن والأضداد ـ الجاحظ. تحقيق جماعة من الأساتذة. دار الهلال ـ بيروت 1991
44) المستطرف في كلّ أدب مستظرف (1 ـ 2). الإبشيهي. شرح الدّكتور مفيد قميْحة. دار الكتب العلمية ـ بيروت 1983
45) معجم الأدباء (1 ـ20). ياقوت الحموي ـ تحقيق مرجليوت ـ دار الفكر ـ بيروت 1980
46) معجم البلدان (1 ـ 5) ياقوت الحموي ـ بيروت ـ دار صادر ـ 1979
47) المنتظم (5 ـ 10) ابن الجوزي ـ حيدر آبادد الدّدكن ـ 1358 هـ
48) المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ـ الجرجاني. تحقيق محمّد شمسي. حيدر آباد الدّكن 1983
49) الوافي بالوفيات (1 ـ 22) الصّفدي. تحقيق مجموعة من المحقّقين العرب والمستشرقين المعْهد الألماني ـ بيروت 1991

50) وفيّات الأعيان (1 ـ 8) إبن خلكّان. تحقيق إحسان عبّاس ـ دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ بدون تاريخ .
51) يتيمة الدّهر (1 ـ 5) الثّعالبي. تحقيق الدّكتور مُفيد محمّد قُمَيْحة ـ دار الكتب العلميّة ـ بيروت 1983

الفهـــارس العامّـــة

فهـــرس الآيات القرآنية

الفُرْقــان	7	89
القَصَــص	15	141
فَــاطر	37	137
يَــس	64	121
صَ	33	28
فُصِّلَتْــ	21	13
الواقِعَــة	36	16
الجُمْعــة	5	117
التّحْريــم	12	28
المُطَفّفين	83	114

فهـــرس الحـــديث

فهـــرس الأعـــلام
(اقتصرنا فيه على الشّعراء)

حــرف الألِــف

حـــرف البـــاء

حـــرف التّـــاء

حرف الثّاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدّال

حـــــرف الــــرّاء

حـــــــرف السّيـــــن

حـــــــرف الشّيـــــن

حـــــرف الضّــــــاد

حـــــــرف الطـــــاء

حـــــرْفُ العيـــــن

حـــــرف الفـــــاء

حـــــرف الـــلاّم

حـــــرف الكــــاف

حـــــرف الميـــم

حـــــرف النّـــون

حـــــرف اليـــاء

فهرس أسماء الكتب الواردة في الكتاب

اسْمُ الكتَاب	المؤلّفُ	الصّفحةُ
[ترويحُ الأرْواح ومفْتاحُ السّرور والأفراح]	جراب الدّولة	54
التّنبيه على مسَاوئ المتنبّي	الصّاحب بن عبّاد	26
تهْذِيبُ اللّغَةِ	الأزهريّ	41، 160
لُبَابُ الأدَبِ	[ابن مُنقذ]	83
المسْتِنيرُ	بدون عزْو	85، 89
المبْهِجُ	الثّعالبي	33، 126
نُتَفُ الظّرَفِ	أبو العلاء السُّلاميّ	178
الوُزَراءُ والكُتّابُ	ابن عبدُوس الجهْشيارِيّ	158، 171

فهـــــرس القـــوافي

حرف الـــرّاء

* حـــرف المِيـــم *

فهـرس الكنايات

* الهمـــزة *

* حــــرف البَاءِ *

* حـــرف التّـــاءِ *

* حـــرف الثَّـــاءِ *

* حـــرف الحـــاءِ *

* حـــرف الخَـــاء *

* حــرْف الــدّال *

* حــرف الــذّال *

* حـــرف الــرّاء *

* حـــرف الـــزّاي *

* حـــرف السّيـــن *

* حــرفُ الشّيــن *

* حــرف الصّــاد *

* حــرف الطّاءِ *

* حــرف الظّــاءِ *

* حــرف العيــن *

* حـــرفُ الغيـــنِ *

* حـــرف الـفاء *

* حـــرفُ القـــافِ *

* حـــرف الكَـــاف *

* حـــرف الـــلاّم *

* حـــرف الميــــم *

الفهـرس

الباب الثاني

في ذكر الغلمان والذّكران ومن يقول بهم والكناية عن أوصافهم وأحوالهم

الباب الثالث

في الكناية عن بعض فضول الطعام وعن المكان المهيّأ له

الباب الرابع

في الكناية عن المقابح والعاهات والمثالب

الباب الخامس

في الكناية عن المرض والشيب والكبر والموت

الباب السادس

في ما يوجبه الوقت والحال من الكناية عن الطعام والشراب وما يتصل بهما

الباب السابع

في فنون شتّى من الكناية والتعريض مختلفة الترتيب

الحب عند العرب	. . . .	العلامة احمد تيمور
الغزل في تاريخ الأدب العربي	. . . . .	الأستاد احمد الشايب
كتاب الكناية والتعريض	. . . .	لأبي منصور الثعالبي
المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء	. .	للقاضي الجرجاني
طوق الحمامة في الألفة والألاف	. . .	ابن حزم الأندلسي
آداب النكاح وكسر الشهوتين	. . . . . .	للامام أبو حامد الغزالي
إمرأتنا في الشريعة والمجتمع	. . . .	الأستاد الطاهر الحداد
المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية		الدكتور سعيد عاشور
رجوع الشيخ إلى صباه	. . . .	لأحمد بن يوسف التيفاشي
الوشاح في فضل النكاح	. . . .	لجلال الدين السيوطي
تحرير المرأة	. . . .	لقاسم أمين
كتاب النساء	. . . .	لمحمد عبد الله بن قتيبة
جوامع اللذة	. . . .	لأبي الحسن علي بن نصر

تم سحب ثلاثة آلاف نسخة من هذا الكتاب
تدمك: ISBN 9973 - 16 - 243 - 9
الثمن: 4000 د ت أو ما يعادلها بالعملات الأخرى
الطبعة الأولى . جوان 1995.